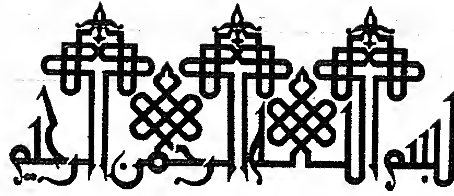
حول تفسير

سورة الإخلاص

والمعوذتين بعدها

بقلم

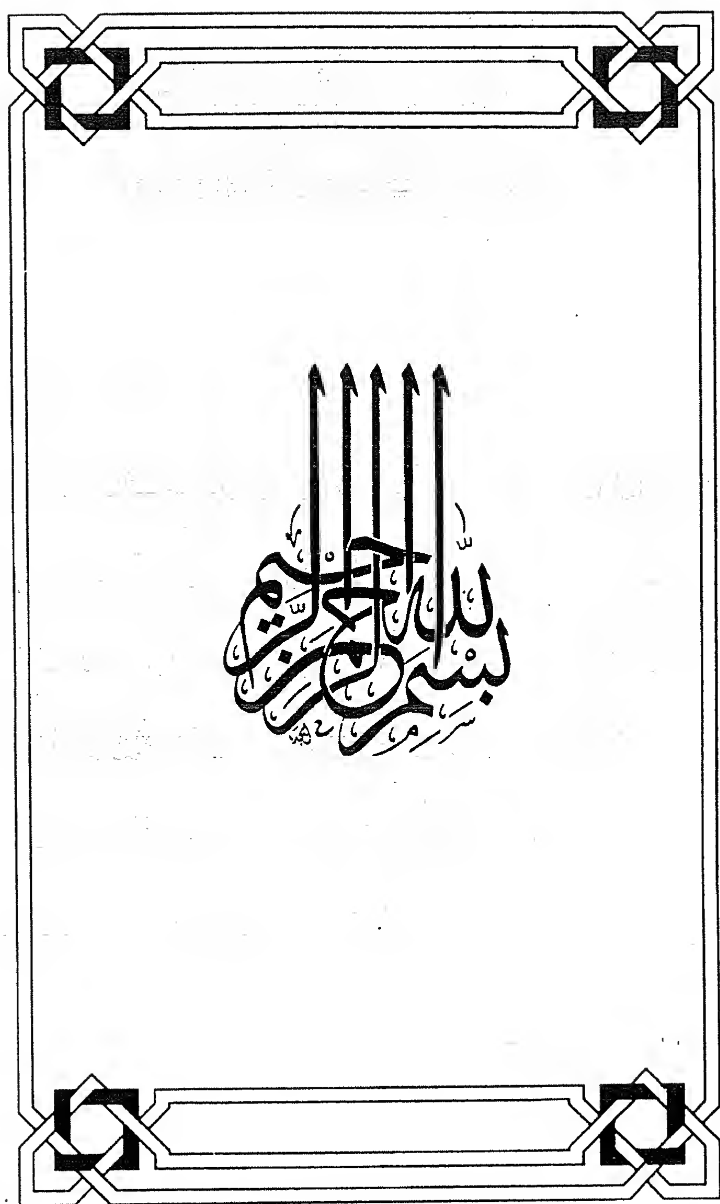
عبد الله سراج الدين



أيها القارئ الكريم :

اقرأ سورة الفاتحة كلما قرأت في كتاب من كتبي ، واهدِ ثوابها إلى العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، حامل لواء الحجة بالكتاب والسنة ، المفسّر والمحدث بالأسانيد المتصلة ، عن أكابر المحدثين - في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية - بإجازات عالية الأسانيد - محفوظة عندي - سيدي وشيخي والدي الكريم ، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني ، رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيرًا ، إنه هو السميع العليم

آمين


بسم الله الرحمن الرحيم

حول تفسير

سورة الإخلاص

والمعوّذتين بعدها

بقلم

عبد الله سراج الدّين

مكتبة دار الفلاح
حلب - أنيول

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

مطبعة الصباح
دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠
عدد النسخ (٢٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم؛ على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلينا معهم أجمعين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

هذه السورة الكريمة هي مَكية عند الأكثرين:

وقال بعضهم: هي نزلت مرتين: مرة في مكة المكرمة ، حين سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: انسب لنا ربّك. فنزلت رداً عليهم.

ونزلت مرة ثانية في المدينة المنورة ، حين سأله اليهود فقالوا: صف لنا ربك. فنزلت جواباً لهم.

وسيأتي الكلام على ذلك مع الأدلة إن شاء الله تعالى ـ في موضعه ـ.

وتسمى **سورة الإخلاص** لأن فيها إخلاص التوحيد لله تعالى.

ولها أسماء متعددة وأشهرها الإخلاص.

فضائل سورة الإخلاص

قراءة هذه السورة الكريمة لها فضائل كثيرة ، جاءت في الأحاديث النبوية الشريفة ، أذكر جملةً منها :

١ ـ هي تعدل ثُلُثَ القرآن :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «احشدوا ـ أي : اجتمعوا ـ فإنِّي سأقرأ عليكم ثلث القرآن» .

فحشد من حشد ، ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل .

فقال بعضنا لبعض : إنّا نرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذلك الذي أدخله .

ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، أَلا إنِّها[١] تعدل ثلث القرآن»[٢] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أيعجز أحدكم أَنْ يقرأ في ليلة ثلث القرآن»؟ .

قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟! .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم وغيره .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أَنّ رجلاً سمع رجلاً

---

(١) أي : سورة الإخلاص التي قرأها عليهم .

(٢) قال في (الترغيب) : رواه مسلم والترمذي .

يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُها ، فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له ـ وكان الرجل يتقالُّها[1] ـ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده إنّها لتعدل ثلث القرآن»[2].

٢ ـ الإكثار من قراءة سورة الإخلاص ، سبب لمحبة الله تعالى لقارئها:

عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بَعث رجلاً على سرية[3] ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: «سلوه لأيِّ شيء يصنع ذلك»؟.

فسألوه ، فقال: لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أَنْ أَقْرَأَ بها.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»[4].

قال المنذري: ورواه البخاري والترمذي أيضاً ، عن أنس رضي الله عنه ، أطول منه ، وقال في آخره: فلما أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه الخبر.

فقال: «يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ،

---

(١) أي: يَرى قراءتها قليلة.

(٢) قال في (الترغيب): رواه البخاري ومالك ، وأبو داود والنسائي.

(٣) أي: أمَّره على طائفة من الجنود.

(٤) قال الحافظ المنذري: رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة»؟.

فقال: إنِّي أحبها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبُّك إيّاها أَدْخلك الجنة».

٣ ـ قراءة سورة الإخلاص سبب لدخول الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فقال رسول الله صلى الله وآله عليه وسلم: «وجبت».

فسألته: ماذا يا رسول الله؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فأردت أَنْ أذهب إلى الرجل فَأُبشِّره، ثم فَرِقت[1] أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب.

قال الحافظ المنذري: رواه مالك واللفظ له، والترمذي وليس عنده قول أبي هريرة رضي الله عنه: فأردت.. إلخ.

قال: وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. ا هـ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله

---

(١) أي: خفت.

عليه وآله وسلم فقال: إنِّي أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حبك إياها أدخلك الجنة»[(١)].

وأخرج الترمذي، والبيهقي في (الشعب) وابن عَدِيٍّ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد أَنْ ينام على فراشه من الليل نام على يمينه، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة.

فإذا كان يوم القيامة يقول الرب سبحانه: يا عبدي أُدخل على يمينك الجنة»[(٢)].

٤ ـ من قرأها عشر مرات بنىٰ الله تعالى له بيتاً في الجنة:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ قَرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة».

فقال عُمر رضي الله عنه: إذاً نستكثر يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكثر وأطيب»[(٣)].

في هذه الأحاديث المتقدمة، بشائر عظيمة لمن يقرأ سورة الإخلاص بصدق وإخلاص، وذلك أَنّها تعدل ثلث القرآن،

---

(١) جاء في (الدر المنثور): أخرجه أحمد والترمذي، وابن الضريس، والبيهقي في (سننه). ا هـ.
(٢) كما في (الدر المنثور) وغيره.
(٣) رواه الإمام أحمد وغيره.

ودخول قارئها الجنة ، وبناء بيت له في الجنة؛ إذا قرأها على الوجه الوارد كما تقدم.

وذلك كله يدل على سَعادة قارئها ، وأنه سيموت على الإيمان ، فله حسن العاقبة ، وأن نهايته إلى الجنة ، فيدخلها ، ويسكن البيت الذي بناه الله تعالى له في الجنة في الجوار الكريم.

وإن الجوار يُطلب قبل الدار ، كما دلت على ذلك الآية الكريمة ، يخبر الله تعالى فيها عن دعاء امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية الكريمة.

فلم تقل: رَبّ ابن لي بيتاً عندك ، بل قالت: عندك بيتاً.

فقدمت العندية والجوار على طلب البيت.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خلق الله تعالى جنة عدن بيده ، ودَلّى فيها ثمارها ، وشقَّ فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها: تكلّمي ، فقالت: قد أفلح المؤمنون.

فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيل».

فأكْرِم بهذا الجوار الكريم في دار الكرامة.

وفي هذا تحذير المسلم من البخل ، بل الواجب عليه أن يتحلّى بصفة الكرم والسخاء.

روى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «السخيُّ قريب من الله تعالى ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار.

والبخيل بعيد من الله تعالى، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار.

ولَجاهل سَخِيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من عابد بخيل».

وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يدخل الجنة خَبٌّ ولا منَّان ولا بخيل»[1].

وروى الترمذي وغيره ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البُخل وسوء الخلق».

وروى أبو الشيخ ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جُبل وليٌّ لله عز وجل إلا على السخاء وحسن الخلق».

وجاء في الحديث ، عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: كان إذا أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي ، يُسمع عند وجهه الشريف دَويٌّ كَدويِّ النحل. فأُنزل عليه يوماً ، فمكثنا ساعة ، فسُرِّيَ عنه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال:

«اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد أُنزلت عليّ عشر آيات:

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

من أقامَهُنَّ دخل الجنة» ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر[1].

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم: الدعاء بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند بعض الآيات الكريمة، فادع بهذا الدعاء المتقدم عندما تقرأ العشر الآيات من أول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

نسأل الله تعالى أَنْ يجعلنا من المؤمنين الذين وصفهم بهذه الصفات الكريمة، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾.

اللهم اجعلنا منهم بجاه حبيبك الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تَفَجَّر.

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي والنسائي، وعبد الرزاق، وعَبْدُ بن حميد، وابن المنذر، والعقيلي، والحاكم وصححه، والبيهقي في (الدلائل)، والضياء في (المختارة) كما في (الدر المنثور).

أنهار الجنة الأربعة ، ومِنْ فوقها يكون العرش ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس»[١] .

وإنّ أعلى منزلة في الجنة التي هي فوق كل المنازل ، مقام الوسيلة الخاص بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي لا يُشاركه فيه غيره ، كما جاء ذلك في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مِثْل ما يقول ، ثم صَلُّوا عَليَّ ، فإنَّه من صلى عَليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنَّها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله تعالى ، وأرجو أَنْ أكون أَنَا هُوَ ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة»[٢] .

وفي رواية : «حلّت له شفاعتي يوم القيامة» .

فينبغي للمؤمن أن يواظب على هذا الدعاء وراء الأذان خاصة ، وفي سائر الأوقات عامَّة ، فقد جاء في الحديث[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «سلوا الله لي الوسيلة ، فإنّها أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أَنْ أكون أَنَا هو» صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّه قال : «سلوا الله لي الوسيلة ، فإنّه لا يسألها لي عبد في

---

(١) رواه الترمذي وأحمد والحاكم كما في (الجامع الصغير) .

(٢) قال المناوي : أيْ : وجبت وجوباً واقعاً عليه . ا هـ . رواه مسلم وأحمد كما في (الجامع الصغير) .

(٣) رواه الترمذي وغيره كما في (الجامع) .

الدنيا إلا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» رواه ابن أبي شيبة والطبراني في (الأوسط)[1].

اللهم آت سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدتَه ، إنّك لا تُخلف الميعاد. واجعلنا من أتباعه وأهل شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ - ومِنْ فضائل قراءة سورة الإخلاص: أنَّها سبب لمغفرة الذنوب:

عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ كل يوم مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كتب الله تعالى له ألفاً وخمسمائة حسنة ، ومحا عنه ذنوب خمسين سنة؛ إلا أَنْ يكون عليه دين»[2].

وعن أنس رضي الله عنه ، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن أَراد أَنْ ينام على فراشه من الليل نام على يمينه ، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب تعالى: يا عبدي أُدخل على يمينك الجنة» الحديث كما تقدم.

٦ - من فضائل تلاوة سورة الإخلاص أنها تنفي الفقر:

عن جَرير البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخل منزله؛ نفت الفقر من أهل ذلك المنزل والجيران»[3].

---

(١) قال العلامة المناوي: حديث حسن. ا هـ.

(٢) أخرجه الترمذي ، وأبو يعلى ، ومحمد بن نصر ، وابن عَديّ، والبيهقي في (الشعب) واللفظ له؛ كما في (الدر المنثور).

(٣) قال في (الدر): رواه الطبراني.

وأخرج أبو نعيم في (الحلية) عن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من نَسِيَ أَنْ يُسَمِّي على طعامه فليقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، إذا فرغ».

٧ ـ بكثرة قراءتها تكثر الملائكة فيصلون عليه:

قال الإمام النووي رضي الله عنه في (الأذكار): رُوينا في كتاب ابن السني (ودلائل النبوة) للبيهقي ، عن أَبي أُمامة رضي الله عنه قال: أتىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال: «يا محمد اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني» رضي الله عنه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونزل جبريل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة ، فوضع جبريل عليه السلام جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ، ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فتواضعت؛ حتى نظر إلى مكَّة والمدينة.

وصَلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجبريل والملائكة عليهم السلام.

فلما فرغ قال: «يا جبريل بمَ بلغ معاوية هذه المنزلة»؟.

قال: «بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قائماً وراكباً وماشياً»[١].

٨ ـ فضل قراءة الإخلاص وراء كل صلاة مكتوبة عشر مرات:

روى أبو يعلى ، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) وقد أورده ابن كثير في (تفسيره) بروايات متعددة عن عِدة من المحدثين، وكذا أورده الحافظ السيوطي في (الدر المنثور) بروايات متعددة الأسانيد ، وكذا أورده الحافظ البقاعي في (مصاعد النظر)، وأورده غير هؤلاء أيضاً.

صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من جاء بهنّ مع الإيمان دخل من أيِّ أبواب الجنة ، وزوج من الحور العين حيث شاء: مَنْ عفا عن قاتله ، وأدَّى ديناً خفياً ، وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾» .

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أو إحداهن يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أو إحداهن» .

٩ ـ من قرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة فهو عتيق الله تعالى:

قال العلامة الشيخ محمد أمين الشهير بـ ابن عابدين رحمه الله تعالى ، قال في رسائله:

أخرج البزار ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة ألف مرة: فقد اشترى نفسه من الله تعالى ، ونادى منادٍ مِنْ قِبَلِ الله تعالى في سماواته وفي أرضه: ألا إنّ فلاناً عتيق الله تعالى ، فمن له قِبَلَه تِباعة ـ أي: حق ـ فليأخذها من الله تعالى» .

قال العلامة ابن عابدين ـ رحمه الله تعالى ـ بعدما أورد هذا الحديث: ويحمل هذا على من اتفق له قراءة هذا العدد في عمره كله ، أو قُرىء له بنية خالصة. ا هـ.

ومما ينفع الوالِدَين بعد موتهما؛ ويعتبر براً للوالدين: ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والبيهقي ، عن أَبي أُسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه ، أَنّ رجلاً قال: يا رسول الله: هل بَقِيَ من بِرّ أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم: الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي

لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما» أي: من بعدهما.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن من أبرِّ البرِّ: أَنْ يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولِّيَ»[1].

وروى ابن النجار في (تاريخه) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة ، فقرأ عندهما يّس: غَفر الله له بعدد كل حرف منها».

وأخرج الإمام أحمد ، وأصحاب السنن ، وغيرهم ، عن معقل ابن يسار رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يّس قلب القرآن ، لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلاّ غفر الله له ما تقدم من ذنبه؛ فاقرؤوها على موتاكم»[2].

المواظبة على قراءة سورة تبارك تشفع بصاحبها ، وتمنعه من عذاب القبر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ سُورة من كتاب الله تعالى ما هي إلا ثلاثون آية ، شفعتْ لرجل حتى غُفر له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[3].

* * *

---

(١) قال في (التيسير): رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) كذا في (الدر المنثور).

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن ، وروى الترمذي وغيره حديثاً وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في سورة تبارك ـ: «هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر».

فضائل تلاوة الإخلاص مع المعوذتين

١ ـ قراءة المعوذات وراء الصلوات:

قال الإمام النووي رضي الله عنه في (الأذكار): رُوينا في (سنن) أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم، عن عقبة بن عامر رضي الله قال: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ أقرأ بالمعوذتين دُبر كل صلاة). قال: وفي رواية أبي داود: (بالمعوذات).

قال رحمه الله تعالى: فينبغي أن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، اهـ أي: وراء كل صلاة مكتوبة.

٢ ـ قراءة المعوذات بعد صلاة الجمعة سبعاً سبعاً:

أخرج ابن السني عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ بعد صلاة الجمعة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، سبع مرات: أعاذه الله تعالى بها من السوء إلى الجمعة الأخرى»[١].

وفي رواية لهذا الحديث زيادة سورة الفاتحة في أوله سبعاً ـ فاعمل بذلك.

---

(١) انظر (الدر المنثور).

٣ ـ قراءة المعوذات صباحاً ومساء تحفظ من كل شيء:

عن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «اِقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلاثاً، تكفيك من كل شيء»[١].

٤ ـ قراءة المعوذات إذا أوى إلى الفراش فيها الوقاية:

عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة، جَمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده؛ يفعل ذلك ثلاث مرات[٢].

٥ ـ المعوذات الثلاثة ما تعوذ الخلائق بمثلها:

عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع يده على صدره ثم قال له: «قل» فلم أدر ما أقول. ثم قال: «قل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

ثم قال لي: «قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾» حتى فرغت منها.

---

(١) قال في (الدر المنثور): أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي والطبراني.. إلخ.

(٢) عزاه في (الدر المنثور) إلى البخاري وأصحاب السنن وغيرهم، وقد جاء في رواية أخرى للبخاري ـ وسيأتي نصها ـ أن القراءة تكون أولاً ثم ينفث، وتعتبر تلك الرواية بياناً لهذه الرواية المذكورة؛ كما قاله الشُراح للحديث.

ثم قال لي: «قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» حتى فرغت منها.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هكذا فتعَوَّذ، فما تَعَوَّذ المتعوذون بمثلهنَّ قطُّ»[1].

* * *

(١) عزاه في (الدر المنثور) إلى النسائي، وابن مَرْدُوْيَه، والبزار بسند صحيح.

سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

الكلام على: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مفصل في كتابنا حول تفسير سورة الفاتحة والحمد لله تعالى.

أما الكلام على معاني هذه السورة الكريمة فله وجوه متعددة:

الأول: هذه السورة الكريمة مكية، لأنها نزلت حين سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له: انسب لنا ربك. وفي رواية: قالوا: صِف لنا ربك. فنزلت.

روى الإمام أحمد، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

ورواه الترمذي وغيره أيضاً.

وجاء في رواية عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر، أَنَّ اليهود

في المدينة ، سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: صف لنا ربك.

فنزلت: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة.

وبناء على ذلك تكون هذه السورة الكريمة أُنزلت مرتين: أولاً في مكة جواباً للمشركين ، وثانياً في المدينة المنورة جواباً لليهود.

الوجه الثاني من الكلام على هذه السورة الكريمة:

قوله سبحانه:

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾ أي: هو سبحانه كما هو ، لا يَعلم حقيقة ذاته إلا هو ، ولا يُحيط علماً بذاته إلا هو ، لا يُحاط به علماً ، ولا تُدرك حقيقة ذاته.

قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾.

فهو سبحانه المحيط بجميع خلقه علماً ، وهم لا يُحيطون به علماً.

فما عرف الخلائق إلا على حسب طاقتهم ، ولكن لم يحيطوا بما هنالك ، بل هم عاجزون عن ذلك.

وقال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

فهو سبحانه لا تُدرك حقيقته ، بل الخلائق عاجزون عن إدراك حقيقته ، وكنه ذاته جلّ وعلا.

وجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «تفكروا في كل شيء ، ولا تفكروا في ذات الله».

وفي رواية: «فإنكم لا تقدرون قدره»[1].

وقد نقل علماء السلف عن سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه أنه قال:

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحثُ عن سِرِّ ذات الربِّ إشراك

وقال سيدي الشيخ الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: قد جمع الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله:

من انتهض لمعرفة مدبِّره، فانتهى إلى مَوْجود ينتهي إليه فكره ـ أي: حدَّ له حداً بفكره ـ فهو مشبِّه، وإن اطمأنَّ إلى العدم الصِّرف فهو معطِّل، وإن اطمأن لموجود، واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد. اهـ.

فهو سبحانه أكبر مما عرفه الخلائق، وإنهم عاجزون عن أنْ يحيطوا به علماً، وإنّما عرفوه على حسب استعداداتهم وطاقتهم، وهم في ذلك على مراتب ودرجات.

وإنّ أعلم العلماء بالله تعالى هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال: «أما والله إنِّيْ لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» الحديث.

وأهل الجنة يرون ربّهم سبحانه:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

ولكن لا يلزم من رؤيتهم له أَنْ يحيطوا به علماً، ولا أَنْ تدرك أبصارُهم حقيقة ذاتِه وتحيط به، لأنّه سبحانه قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

---

(١) رواه أبو الشيخ وغيره.

فهم يرونه حقاً وعياناً، ولكن لا يحيطون به علماً، وكيف يُحيط المتناهي بما لا يتناهى؟!!.

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال[1]: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى القمر ليلة البدر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاتكم قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا».

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، وسرره؛ مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله تعالى مَنْ ينظر إلى وجهه تعالى غدوة وعشية».

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: هل تريدون شيئاً أزيدكم؟

فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا، أَلَمْ تدخلنا الجنة، أَلَمْ تُنْجنا من النار؟.

(١) رواه الشيخان وغيرهما.
(٢) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

قال: فيُكشف الحجاب ، فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى».

ثم تلا هذه الآية: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينا أهل الجنة إذ سطع عَلَيهم نور ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾.

فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، وتبقى فيهم بركته ونوره»(٢).

اللهم إنّا نسألك الجنة وما يقرِّب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما يُقرب إليها من قول وعمل ـ آمين.

الوجه الثالث من الكلام على: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

بعدما ذكر سبحانه اسم ﴿ هُوَ ﴾ ذكر الاسم الجامع الدال على ذات الخالق ، متصفاً بجميع صفات الكمالات العليا اللائقة به ، التي ما لها نهاية.

فهذا الاسم ، وهو اسم الجلالة (الله) أجمع الأسماء الإلَهية ، فهو مشتمل على جميع الأسماء الإلَهية التي لا نهاية لها ، وهو اسم عَلَم ، دال على ذات الله تعالى رب العالمين ، الإلَه المعبود حقاً ، متسمياً بجميع الأسماء الحسنى، ومتصفاً بصفات الكمالات العليا.

والأسماء الإلَهية ، وصفات الكمالات العليّة ما لها نهاية.

---

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

(٢) رواه ابن ماجه وغيره.

فمنها المعلوم ومنها المغيَّب ، ومنها ما اختص الله تعالى بعلمه.

ومنها الظاهر ومنها الباطن.

كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أصاب عبداً همٌّ ولا حُزْنٌ فقال: اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فِيَّ حكمك ، عدل فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميتَ به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو ٱستأثرت به في علم الغيب عندك ، أَنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ـ وفي رواية: «ونور بصري» ـ وجلاء حزني ، وذهاب هَمِّي؛ إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً» رواه الإمام أحمد في (مسنده).

وقال الحافظ الزرقاني: ورواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقي ، وجاء في روايته:

قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات؟.

قال: «بلى فتعلموهن وعلِّموهن».

وقال المنذري: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان. . إلخ.

فأسماء الله تعالى ما لها نهاية وكلها حسنى.

وروى البيهقي ، عن عائشة رضي الله عنها أَنَّها قالت: يا رسول الله ، علمني اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قومي فتوضئي ، وادخلي المسجد ، فصلي ركعتين ، ثم ادعي حتى أسمع».

قالت: ففعلت.

فلما جلستُ للدعاء ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم وفقها».

فقالت: (اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، وأسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر ، الذي من دعاك به أجبته ، ومن سألك به أعطيته).

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أصبته أصبته».

وقد جاء في حديث الشفاعة ، أَنَّ الله تعالى يفتح على حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم؛ من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله.

وفي حديث الشفاعة ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «فيأتوني فيقولون: يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه.

فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله تعالى عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال: يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع» إلى تمام الحديث كما في البخاري ومسلم.

وجاء في رواية: «فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن يلهمنيها الله تعالى».

فيعلمه الله سبحانه محامد وأسماء إلٰهية يُثْني بها على الله تعالى في ذلك الموقف.

فأسماؤه سبحانه ما لها نهاية.

وأما حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» ، فالمراد أَنَّ من جملة أسماء الله تعالى تسعة وتسعين ، مَنْ أحصاها دخل الجنة ، وليس المراد حَصْر الأسماء في التسعة والتسعين ، فهو بيان خصوصية هذه الأسماء التسعة والتسعين ، وقد ذكرتُها في كتاب الدعاء وغيره والحمد لله تعالى.

الوجه الرابع من الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾:

اسم الجلالة (الله) له خصائص متعددة:

١ ـ هذا الاسم الجليل جامع لجميع الأسماء الإلٓهية ، ولهذا يقال له: الاسم الأعظم.

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (اسم الله الأعظم هو: الله)[1].

وكما قال جابر بن يزيد: (اسم الله الأعظم هو: الله ، ألا ترى أنَّه في جميع القرآن يبدأ به قبل كل اسم)[2] اهـ.

٢ ـ هذا الاسم (الله) هو المتبوع ، وجميع الأسماء الإلٓهية تابعة له ، قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

---

(١) رواه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ، والبخاري في (تاريخه) ، وابن الضريس ، وابن أبي حاتم ، وروى ابن أبي شيبة عن الشعبي أنه قال: (اسم الله الأعظم يا ألله). اهـ.

يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

فترى أَنَّ اسم الخالق والبارىء والمصور وما تقدمها، كلها تابعة لاسم الجلالة (الله) على طريق الوصف.

٣ ـ هذا الاسم الجليل (الله) تعلَّقت به جميع العوالم: بذاتها وذراتها وأنواعها.

قال الله تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

فجميع العباد يقولون: يا الله؛ دعاءً، أو سؤالاً، نداءاً أو ذكراً، أو مناجاة، ولكن في الحقيقة كل واحد منهم تعلَّق باسم خاص داخل في دائرة اسم الله جل جلاله، وإنَّما يتبين ذلك الاسم من حال الداعي، أو الذاكر، أو المناجي، أو السائل، فمقتضى حال القائل يا ألله يدلك على ذلك الاسم الخاص الذي تعلَّق به:

فالمريض يقول: يا ألله، والفقير يقول: يا ألله، وضعيف القوىٰ يقول: يا ألله، والضالُّ يقول: يا ألله، والمظلوم يقول: يا ألله.

فالكل متعلقون بهذا الاسم الجليل يا ألله، ولكن الذي يجيب كل واحد منهم، هو الاسم الذي يقتضيه حالهم.

فقول المريض: يا ألله أي: يا شافي.

وقول المحتاج: يا ألله أي: يا كافي.

وقول الضعيف العاجز: يا ألله أي: يا قوي.

وقول المظلوم: يا ألله أي: يا ناصر انصرني على من ظلمني.

وقول المبغيِّ عليه: يا ألله أي: يا منتقم.

فيجيبه الاسم الخاص كما هو مقتضى حاله ، وذلك الاسم داخل في دائرة الاسم الجامع لجميع الأسماء الإلّهية وهو الله جل جلاله .

٤ ـ ومن خصائص هذا الاسم الجليل (الله) أَنّك إذا أدخلت عليه ياء النداء تبقى الألف ثابتة تقول: ياألله ، بإثبات الألف بخلاف غيره من الأسماء التي فيها أل ، فإن الألف تحذف إذا دخلت أداة النداء. كما هو معلوم في لغة العرب.

٥ ـ ومن خصائص هذا الاسم الجليل ملازمة الألف واللام له فهما من ذات الاسم الجليل.

٦ ـ ومن خصائص هذا الاسم الجليل أَنَّه قد تُحذف ياء النداء من أوله ، وتُعَوَّضُ عنها ميم مشددة ، فيقال: اللهمّ ـ والمعنى: يا ألله ـ.

قال ابن مالك رحمه الله تعالى في الألفيه:

وباضطرارٍ خُصَّ جمع يا وأل إلا مع الله ومَحكيٍّ الجُمل

والأكثر اللهمُّ بالتعويض وشَذَّ يا اللهم في قَريضِ

أي: في الشعر.

٧ ـ ومن خصائص هذا الاسم الجليل (الله) أَنّه حيث تصرفتْ حروفه دلّك على الله تعالى:

فإذا حذفت منه الألف صار لله ، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

وإذا حذفت منه الألف واللام الأولى صار له ، قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

وإذا حذفت منه الألف واللامان صار هو ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية.

٨ ـ ومن خصائص هذا الاسم أَنّ تكراره يُفرج الكرب:

روى أبو داود ، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلَا أعلمك كلمات تقوليهنّ عند الكرب أو في الكرب: اللهُ اللهُ ربي لا أشرك به شيئاً»[(١)].

وقد ذكر العارفون لهذا الاسم الجليل خصائص كثيرة ، ومن أعظمها أَنّ الإكثار منه يقوي الإيمان ، ويَكمل به اليقين ، فيكون المكثر منه من المؤمنين الموقنين ، كما أَنّ الإكثار منه يُورث طُمأنينة القلب وقوته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

الوجه الخامس من الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾:

في هذه الآية الكريمة إرشاد إلى البرهان العقلي الدال على إثبات وجود الله تعالى ، وإثبات وحدانيته سبحانه.

وبيان ذلك: أَنّ العاقل إذا نظر في هذا العالم وفكر فيه يَثبت عنده أَنّه وُجِد بعد عدم ، وهذا أمر مشاهد ، فالإنسان كان معدوماً

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود واللفظ له ، والنسائي وابن ماجه ، ورواه الطبراني في (الدعاء) وعنده: فليقل: «الله ربي لا أشرك به شيئاً ـ ثلاث مرات».

ثم وُجِدَ ، وهكذا الحيوان ، وهكذا النبات والطيور؛ وجميع ما هنالك.

إذاً هنا يُفكِّر العاقل كيف وُجدت الأشياء بعد العدم؟

فإنْ قيل: إنّها خُلقت بحالها وطبيعتها دون مُوجد أَوْجَدها.

قلنا: هذا باطل ، لأَنَّ العدم لا يُعطي الوجود ، وإنّ وُجود المعدوم هو: انتقال من العدم إلى الوجود ، فلا بد لهذا الانتقال والتحرك من العدم إلى الوجود؛ لا بُدَّ له من ناقل ومحرك.

فإنّ العدم عدم لا يتأتى منه تحرك ولا انتقال ، فلا بد من محرك وناقل من العدم إلى الوجود حتى يَصير موجوداً ، فإنّ التحرك بلا محرك غير معقول؛ فإنّ العدم لا يُعطي حقيقة الوجود ، لأنّ العدم ماله حقيقة.

فلا بدَّ للمتحرك من محرك ، ولا بدَّ للبناية مِن بانٍ؛ وهكذا. إذاً لا بد من خالق ينقل هذا المعدوم إلى الوجود حتى يصير موجوداً ، ويطوِّرَهُ من طور العدم إلى الوجود؛ إذاً مَنْ هُو هذا الخالق الموجِد؟.

فإن قيل: هو نفس الموجود هو أوجد نفسه.

قلنا: هذا الموجود كان معدوماً ، فكيف و هو معدوم يتأتى منه الإيجاد؛ وهو غير موجود.

فإن قيل: الموجد للإنسان هو أبوه.

قلنا: وأبوه مثله ، وأبو أبيه مثله أيضاً ، فإذا كان معدوماً لا يتصور منه أَنْ يوجِدَ نفسه ، بل هو عاجز عن ذلك ، فكيف يوجد غيره ، مع أَنَّ أباه لا يعلم هل يُولَد له وَلد أَمْ لاَ ، وهل ذلك الولد: ذكراً أَمْ أنثى ، لا يعلم ذلك قبل ظهوره في الوجود ، بَلْ قد

يُريد الولد ولا يأتيه ، وقد يريد الذكر وتأتيه الأنثى.

فإذاً لا بد أن ينتهي الأمر إلى مَوْجودٍ واجب الوجود ، لم يسبقه عدم ولا يلحقه العدم ، بل هو خالق قديم لا أَوّلَ له ، باقٍ لا آخر له ، ووجوده واجِبٌ لا يُتَصور في العقل عدمه؛ أَلَا هو الله تعالى رَبُّ العالمين.

وَمِنْ ثمَّ أقام الله تعالى الدليل على وجوده ووحدانيته ، فأمر عباده أَنْ ينظروا في المخلوقات والمصنوعات ، فيعلموا أَنّه هو وحده الخالق الصانع ، فاقرأ الآيات الكريمة من سورة النمل:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

أي: فهذه براهين قاطعة ساطعة ، تدل على وجوب وجود الله تعالى ووحدانيته ، فليأت المنكرون ببرهانهم إن كانوا صادقين.

فهو سبحانه الأحد ليس قبله شيء ، ولا معه ثان ، لأنّه واحد ، كما أخبرنا بذلك سبحانه ، ووحدانيته ثابتة بالبراهين العقلية.

وبيان ذلك أَن يُقال لمن يدعي تعدد الإِله الحق: إِنّ الإِله الواحد لا بدَّ منه ، فإنَّ هذه المخلوقات والمصنوعات تَدل على أنَّ

لها خالقاً خلقها ، وصانعاً صنعها ، وهذا الخالق لا بُدَّ أَن تكون قدرته لا نهاية لها ، وكذا علمه وحكمته وإرادته ، وجميع صفاته كلها أزلية أبدية ، قديمة باقية ، ملازمة لذاته القديمة الباقية.

فالموحِّد للإلّه والمعدِّد متفقون على وجود الإلّه الواحد.

إذاً فما هو الدليل العقلي على أَنّ معه ثانياً كما يزعم القائل بالتعدد؟ وما وَجْه الحاجة إلى الشريك ؟! في حين أَنّه سبحانه كامل القدرة وسائر الصفات على وجه لا يتناهى ، فما وجه الحصر العقلي في أنّ معه ثانياً وليس هو بواحد.

وإن ادعى التثليث ـ أَنّ الآلهة ثلاثة ـ فما وجه الحصر العقلي في أنهم ثلاثة وليسوا بأربعة ، وإن ادعىٰ أَنّهم أربعة فَلِمَ لَم يكونوا خمسة ، ولا أكثر ولا أَقَلّ ، وما وجه الحصر العقلي في ذلك كله؟.

فأما الواحد فلا بدَّ منه ؛ لأَنَّه لا بد للمصنوع من صانع ، وللأثر من مؤثر ، وللمتحرك من محرك ، وللبناية من بانٍ ، فالزيادة على الإلّه الواحد لا دليل عليها ولا برهان.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ﴾.

فلا تجحد أيها العاقل ، ولا تستر وجه الحق بالباطل ، فتكون كافراً ـ أي: ساتراً لنور الحق بعدما اتضح ـ.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾. أي: لأنهم عرفوا الحق ولم يعترفوا به ، بل ستروه وجحدوا ، فحقت كلمة العذاب على الكافرين.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ

وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ضفدعة جاءتْ لشرب البحر وكافر يطفىء شمس الظهر
وأحمق يستر وجه البدر ثلاثة مضحكة لعمري

الطريقة الثانية في إقامة البرهان على إبطال ما يدعيه القائل بتعدد الآلهة:

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة برهان قاطع يُبطل القول بتعدد الآلهة، ويثبت وجوب وجود الإلَه الحق ووحدته.

وبيان ذلك أن يقال: لو كان هناك ربّان أو أكثر: فإما أن يكون اختلافهما واجباً، أو يكون اتفاقهما واجباً، أو يكون اختلافهما واتفاقهما جائزين. هذه هي الوجوه التي يمكن أن يفترضها العقل لدى السبر والتقسيم:

فإن كان اختلافهما واجباً: بأن يريد أحدهما إيجاد شيءٍ، ويريد الآخر إعدامه، فإما أن يَغْلِب أحدهما الآخر، فلا شَكَّ أن الغالب هو الربُّ الإلَه الحق، والآخر ليس بإلَه حق لعجزه.

وإما أن يغلب كل واحد منهما الآخر؛ فكلاهما ليس برب حَقٍّ لعجزهما معاً عن الإيجاد والإعدام، ويلزم على ذلك أيضاً ارتفاع النقيضين وهما: الوجود والعدم، وارتفاع النقيضين مستحيل كاجتماعهما.

وذلك أن النقيضين هما المتقابلان اللذان لا يجتمعان في الشيء الواحد ولا يفارقانه، كالوجود والعدم، والظلمة والنور، والحركة والسكون، ونحو ذلك.

وأما الضدان فهما المتقابلان اللذان لا يجتمعان في شيء واحد وقد يفارقانه: كالبياض والسواد.

وإما أنْ لا يغلب كل واحد منهما الآخر، فكلاهما ليس برب حق أيضاً، لعجز كل واحد منهما عن أن يغلب الآخر، ويلزم من هذه الصورة اجتماع النقيضين، وهذا مستحيل أيضاً. هذه صور اختلافهما وكلها مستحيلة.

وأما إن كان اتفاقهما واجباً - أي: أمراً لازماً في كل ما يَفْعَلانه، وفي كل ما يريدانه - فيلزم منه حينئذٍ أن يكون كل واحد منهما لا يمكنه أن يفعل فعلاً أيَّ فعل كان، ولا يمكنه أن يريد شيئاً أيَّ شيءٍ كان؛ حتى يُوافقه الآخر على فعل ما يفعله، أو يوافقه على إرادة ما يريده، حتى أنَّه لو لم يوافق أحدهما الآخر على فعل ما يفعله، أو إرادة ما يريده، لما أمكن الآخر أن يفعل شيئاً أصلاً، ولا أن يريد شيئاً أصلاً، وعلى هذا فيلزم حينئذٍ عجز كل واحد منهما معاً في كل ما يفعلانه أو يريدانه.

وذلك لأنَّه حينئذ لا يتمكن هذا من فعل ما يفعله، أو إرادة ما يريده حتى يوافقه الآخر على فعله وإرادته، وهذا أيضاً لا يتمكن من فغل ما يفعله، أو إرادة ما يريده حتى يوافقه الآخر على فعله وإرادته، فيكون حينئذٍ هذا عاجزاً بنفسه عن فعل ما يفعله وإرادة ما يريده حتى يجعله الآخر باتفاقه معه قادراً؛ أو بالعكس - أي: ويكون هذا أيضاً عاجزاً بنفسه عن فعل ما يريده حتى يجعله الآخر باتفاقه معه قادراً - فلا يكون واحد منهما قادراً على فعل ما يريده إلاّ بأن يجعله الآخر قادراً على ذلك، حتى لو طلب العبد حاجته من أحد الربين لم يقدر على قضاء حاجته إلاّ بأن يأذن له الرب الآخر، ويعاونه ويجعله بإعانته واتفاقه معه قادراً؛ أو بالعكس.

بل نقول: إنَّ نفس الموافقة ونفس الإرادة فعل من جملة الأفعال ، وقد فرضنا أن كل واحدٍ من الربين لا يمكنه أن يفعل فعلاً حتى يوافقه الآخر؛ وعلى هذا فلا يمكن هذا أن يوافق الآخر على فعل الموافقة حتى يوافقه الآخر على فعل الموافقة؛ وبالعكس ـ أي: لا يمكن هذا أن يوافق الآخر على فعل الموافقة؛ حتى يوافقه الآخر على فعل الموافقة ، وهذه الموافقة أيضاً لا يمكن أن يفعلها هذا حتى يوافقه الآخر على فعلها؛ وبالعكس ـ.

وهكذا فيلزم عليه أن لا يكون هذا رباً إلّا بشرط أن يجعله الآخر بموافقته رباً ، والآخر أيضاً لا يقدر أن يجعله رباً إلّا بشرط أن يجعله الآخر رباً ، وهكذا يدور الأمر. وهذا يسمى عند العلماء: بالدور القبلي ، وهو باطل. يستحيل بإجماع أهل الأرض والسماء.

وهكذا يدور الأمر فيكون كل واحد منهما محتاجاً إلى الآخر حتى يجعله رباً ، فالاستحالة هنا من جهتين: من جهة أن هذا دور قَبلي ، ومن جهة أَنَّ من عجز أن يجعل نفسه رباً فكيف يقدر أن يجعل غيره رباً ، فلا يصير هذا رباً ، ولا يصير هذا رباً ، وعلى هذا التقدير الباطل فلا يكون هناك لا رب واحد ولا ربان ، وإذا لم يكن هناك لا رب ولا ربان؛ فلا توجد السماوات ولا الأرض لفقد الرب ، فهو كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي: لم توجدا.

لا يقال: قد يتعاون الرجلان على حمل شيءٍ ثقيل مثلاً ، فكيف يكون تعاون الربين مستحيلاً؟.

لأنا نقول: هذا قياس مع الفارق فرقاناً فاحشاً ، بعيداً أبعد ما بين الوجود والعدم ، وأين الربين من المخلوقين؟!.

فإن الرجلين المتعاونين مخلوقان ليس وجودهما من ذاتهما ، ولا قدرتهما من ذاتهما ، ولا إرادتهما من أنفسهما ، بل لهما رب خالق ، وهو الذي يجعلهما يتعاونان بإلْهامه إياهما ، وتزيينه لهما ، وبتحريكه لهما ، وإقدارهما على المعاونة ، فرجعت اثنتاهما إلى وحدة ربهما الذي خلقهما وجعلهما يتعاونان ، فكان الرجلان المتعاونان بمنزلة اليدين المتعاونتين على حمل شيء ، فكما أن صاحب اليدين هو الذي يجعلهما ـ بحسب ظاهر الأمر ـ يتعاونان ، ومرجع اليدين له ، فكذلك ـ بلا تشبيه ـ مرجع الرجلين المتعاونين لله الواحد ربهما ، فهذان الربان إن لم يكن لهما رب يجعلهما أرباباً فليسا بربين كما قررناه.

وإن كان لهما رب يرجعان إليه كان هو الرب الحق وحده دونهما ، لأنَّ مَنْ يحتاج إلى غيره حتى يجعله رباً فهو ليس برب حق بل كذاب ، فالرب يجب أن يكون فعَّالاً لما يريد بنفسه بلا معاون ، قادراً على ما يشاء بذاته بلا مشارك ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ .

هذا كله إذا كان اتفاقهما واجباً لا جائزاً.

فإن كان اتفاقهما أمراً جائزاً ـ أي: يجوز اتفاقهما واختلافهما ـ، فلا بد حينئذٍ من مرجح يرجح أحد الجائزين على الآخر ، فلا بد من حدوث أمر يقتضي اختلافهما تارة فينجران من أجله على الاختلاف ، أو حدوث أمر آخر يقتضي اتفاقهما تارة أخرى فينجران

من أجله على الاتفاق. كما يقع ذلك لملوك أهل الأرض، تارة تتفق، وتارة تختلف؛ لأمور يحدثها و يجددها ربُّ العالمين، مالك الملك، يجرهم بسببها على الاتفاق أو على الاختلاف؛ فيقتتلون أو يتفقون: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

فنقول: إن الأمر الذي انجر الربان من أجله على الاختلاف لا شك هو حادث، وكذا الأمر الذي انجر الربان من أجله على الاتفاق هو حادث، فلا بد لهما من محدث، لما تقرر أن كل حادث لا بد له من محدث، فلا بُدَّ لهذين الأمرين من رب خالق يحدثهما.

فخالق هذين الأمرين الذين انجر الربان من أجلهما على الاختلاف تارة أو على الاتفاق تارة؛ هو الذي إن شاء ساق الربين بأسباب يحدثها ويخلقها إلى الاختلاف، أو ساقهما بأسباب إلى الاتفاق، فهذا الذي إن شاء ساقهما إلى الاختلاف تارة، أو إلى الاتفاق تارة هو الرب الحقيقي لا هذين المجبورين المقهورين تحت رب آخر. فرجعت الكثرة إلى وحدة هذا الرب.

وبالجملة فهذا ـ أي: قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ـ برهان تام عقلي قطعي على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، خلافاً لبعض علماء الكلام من المتأخرين، فإنه زعم أنه برهان إقناعي لا يكون حجة إلّا على عوام الناس لا على الخواص؛ وهو خطأ فاحش.

وفي هذه الآية قياس استثنائي ترتيبه هكذا: لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا، لكنهما لم تفسدا، فليس فيهما آلهة إلّا الله.

ومن هنا يعلم العاقل أنَّ القرآن الكريم جاء بالبراهين القاطعة، والحجج الساطعة، الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته،

والدالة على حَقِيَّة قضايا الإيمان؛ كما سيتضح جميع ذلك في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

قال العلامة الخطيب الشربيني في تفسيره:

جاء في لغة العرب لغات كثيرة، يُقال: واحد، وأحد، ووحد، ووحيد، وحاد، وآحاد، وأوحد، قال: وهذا كله راجع إلى معنى الواحد، وإن كان في ذلك معان لطيفه.

قال: ولم يجيء في صفات الله تعالى إلا الواحد والأحد. اهـ.

وهناك بعض الفوارق في الاستعمال اللغوي بين الأحد والواحد مذكورة في المطولات.

فالله تعالى واحد، مُنَزَّه عن التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيُّزِ والمماثلة في الذات والصفات، وهو الأحد الذي لا أحد قبله، بل هو قبل كل شيء، وهو الأول الذي لا مَبدأ لأوليته.

روى الإمام البخاري في كتاب: (بدء الخلق) بسنده، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه صلى الله عليه وآله وسلم ناس من بني تميم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم».

قالوا: بَشَّرْتنا فأعطنا ـ مرتين ـ.

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم».

قالوا: قد قبلنا يا رسول الله.

ثم قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر[١] ـ وفي رواية في كتاب التوحيد: جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ ـ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كان الله ولم يكن شيء غيره» وفي رواية كتاب التوحيد: «كان الله ولم يكن شيء قبله[٢]، وكان عرشه على الماء[٣]؛ وكتب في الذكر كُلَّ شيء، وخلق السموات والأرض».

قال عمران بن الحصين رضي الله عنه: فنادى منادٍ ذهبتْ ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يُقطع دونها السراب، فوالله لوددتُ أنِّي تركتها.

فالله سبحانه وتعالى هو الأحد القديم الذي لا أوّلَ له، والباقي الذي لا آخر له.

---

(١) قال في (الفتح): ووقع في قصة نافع بن زيد: نسألك عن أول هذا الأمر، قال: وكأنهم سألوه عن أحوال هذا العالم وهو الظاهر. اهـ والمعنى: أنهم سألوه عن أول هذا العالم ما كان، أهو قديم لا أول له، أم هو مخلوق بعد عدم.

(٢) قال الحافظ في (الفتح) في الرواية الآتية في التوحيد: «ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية غير البخاري: «لم يكن شيء مَعَه». اهـ.

(٣) هذه كينونة حادثة، فإنّ العرش مخلوق بعد العدم، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولم يكن شيء غيره» وقد تكلمت على شرح هذا الحديث في (هدي القرآن الكريم).

روى أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله؟

فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعذ من الشيطان».

وصدر هذا الحديث مروي في الصحيحين كما في (تيسير الوصول).

وفي هذا الحديث إرشاد وتعليم الجواب بالدليل العقلي لمن يُوسوس له الشيطان فيقول: من خلق الله؟ فجاء الجواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ أي: ليس قبل الأحد أحد، والصمد الممد للعوالم غنيٌّ عن كل أحد.

وأرشد أيضاً إلى أنّ هذه الأسئلة هي وساوس شيطانية، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

الكلام على هذه الآية الكريمة له وجوه:

الأول: قال العلامة القرطبي في تفسيره: قال أهل اللغة: **الصمد** هو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج والنوازل. اهـ.

وقال السدي: **الصمد** هو المقصود إليه في الرغائب، المستعان به عند المصائب.

تقول العرب: صمدت فلاناً أصمده صمْداً ـ بسكون الميم ـ إذا قصدته. ا هـ.

والصَّمَد ـ بفتح الميم ـ هو: المقصود في الحاجات والمهمات؛ مع شرف سيادته.

فالله تعالى هو الصمد ـ أي: السيد المقصود في جميع الحاجات والمهمات ـ ويلزم من ذلك أن يكون غنياً عن كل ما سواه، ومفتقراً إليه كل ما عداه، كما نقل العلامة القرطبي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ هو المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. ا هـ.

أما أنه سبحانه وتعالى هو السّيد:

فإنّه سبحانه ربُّ العالمين، والإلٓه الحق وحده لا شريك له، فله الربوبية والألوهية على جميع العالمين، وجميع الخلائق هم عباد له سبحانه وعبيده، فهم عباده كلهم وهو سيدهم كلهم.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الآية.

ويرحم الله تعالى القائل:

إلى بابك العالي مددت يد الرجا ... ومن جاء ذاك الباب لا يختشي الردى
أتيتك يا ربَّاه مستشفعاً بِمَن ... ضيا وجهه الوضَّاء يبرق في الدُّجا
صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وجاء في الحديث عن عبد الله بن الشخِّير رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «السيد الله» رواه الإمام أحمد وأبو داود.

قال العلامة المناوي عن هذا الحديث «السيد الله»: أي: الذي يَحق له السيادة المطلقة، فحقيقة السؤدد ليست إلاَّ لَهُ، إذِ الخلق كلهم عبيده. اهـ ـ أي: فهذه سيادة الربوبية والألُوهية جل وعلا ـ.

قال: ولا يناقضه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أناسيد ولد آدم» لأنَّه إخبار عما أُعطي من الشرف على النوع الإنساني ـ أي: فهو من باب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ـ.

فَشَرَّفَ الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على جميع العباد، وفَضَّله عليهم، ولذا كان يتحدث بهذه النعمة في عدة مناسبات.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نَبِيٍّ يومئذ آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي، وأنا أَوَّل شافع وأول مشفّع».

وفي حديث الشفاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد» الحديث بطوله(١).

فسيادة الألوهية والربوبية على جميع الخلائق هي لله تعالى وحده لا شريك له، وجميع الخلائق كلهم عبيده، فقراء إليه في كل شيء، وهو الغني عن كل شيء، ولذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

فالله تعالى هو الصمد المقصود، والمحتاج إليه في جميع المهمات

---

(١) متفق عليه.

والحاجات، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾.

فجميع أهل السموات وأهل الأرض يسألون الله تعالى في كل يوم شَأْنِيٍّ، يسألونه بحقائقهم الذاتيه، وذراتهم الوجودية، أَنْ يُمِدَّهم بالوجود والبقاء، وبجميع ما يحتاجون إليه في ذاتهم وذراتهم، وغذائهم وقواتهم، وأسماعهم وأبصارهم، حتى الجمادات والنباتات تسأله الإمداد بالوجود في كل يوم شأنِيٍّ.

واليوم الشأني عند العارفين هو أقل من لمح البصر، أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

أي: هو أسرع من لمح البصر، ولا يمكن الوقوف على تحديده، لأنه سبحانه قال: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

وهذا سُؤال الحقيقة الذاتية، فوق السؤال الحالي والقالي، وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن، يُحدث في خلقه ما يشاء مما لا يعلمه إلاّ هو سبحانه، فيوجد ويعدم، وَيُحيي ويميت، ويُعزُّ ويُذِلُّ، ويَرفَعُ ويَخْفِضُ، ويبسط ويقبض، ويمد الأرواح والأشباح، والمدارك، والأسماع والأبصار، ويُمِدُّ جميع ذرات العالم بما هي محتاجة إليه.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

أي: إلى أين تُصرف عقولكم فاعقلوا هذا الأمر، وتفكروا فيه، فإنّها أمور مشهودة بالعيان، وعامة في جميع الأكوان.

إذاً مَنِ الفعال المتصرف والمدبر ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ لا غيره.

عن[1] أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال : «من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويُفرِّج كرباً ، ويُجِيْبَ داعياً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين».

والمعنى : أنّ هذا كله من شأنه ، وليس جميع شأنه .

فالشؤون الإلهية لا تُعَدُّ ولا تحد ، ولا يحيط بعلمها إلاّ الله تعالى .

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، وارفعنا ولا تَضَعْنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا .

اللهم أرضنا وارض عنا ، وأرض حبيبك سيدنا مُحمداً صلى الله عليه وآله وسلم عَنّا ، واستجب دعانا ، فإنّك قلت وقولك الحق : ﴿يَسْأَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

اللهم يا من لا يشغله شَأنٌ عَنْ شَأنٍ ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرَّم بإلحاح الملحِّيْن ، أذقنا بَرْدَ عفوك ، وحَلاوة مغفرتك ـ آمين .

فجميع العوالم تسأل الله تعالى حاجاتها على الدوام ، والله تعالى كل يوم هو في شأن .

قال العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري في حاشيته على الجوهرة :

حُكي أَنّ ابن الشجري كان يُقرر في درسه قول الله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فسأله سائل وقال له : ما شأن ربك؟ .

---

(١) عزاه في (الدر) إلى البزار، وابن جرير، والطبراني، والبيهقي، وغيرهم .

فأطرق رأسه ، وقام متحيِّرَاً ، فنام فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن ذلك.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «السائل لك هو الخضر ، فإذا أتاك وسألك فقل له: شُؤون يُبديها ولا يَبْتَديها ، يرفع قوماً ، ويضع آخرين».

فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بما ذكر.

فقال الخضر عليه السلام: صَلِّ على مَنْ علَّمك. ومشى مسرعاً. ا هـ.

اللهم صلى على حبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم.

فهي شؤون يُبديها ولا يتبديها. أي: يظهرها في العوالم ، على امتدادها وتعاقبها وتنوعها ، وهي معلومة عنده سبحانه بالعلم القديم؛ الذي لا أول له ولا نهاية له كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: كان في القدم الذي لا أوّل له ، ولا يزال ، كان بكل شيء عليماً ، فعلمه سبحانه محيط بكل شيء ، على وجه لا بداية له ولا انتهاء.

الوجه الثاني من الكلام على قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾:

قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

في هذا برهان مشهود على وجوب وجود واجب الوجود ووحدانيته، وذلك أَنَّ من فكَّر في المخلوقات وأنواعها، وأَوَّلاً يُفكِّر في خلق نفسه؛ يتضح له أنَّه فقير محتاج إلى من يُمِدُّه بالماء والغذاء والهواء، ويحفظ عليه سمعه وبصره، وقواته كلها وحواسّه، ويحفظ الأرض تحته، ومحتاج إلى من يحرك قلبه، ويعطيه قوة على التنفس، وعلى التحرك، وعلى جميع أعماله وأقواله؛ وإلى من يُمده في كل ذَرَّة من ذَرَّاتِ وجوده الجسمية وغيرها، حتى إنّه محتاج إلى من يُمدُّ كلَّ شعرة في جسمه، ولو أَنَّه قَطع المدد عن شعرة واحدة لذهبت، وما استطاع الإنسان أَنْ يعوضها، ولا أَنْ يمدها، فكم من البشر يصاب بداء الثعلبة ـ نسأل الله تعالى العفو والعافية ـ.

فالإنسان عاجز عن كل شيء.

إذاً مَنِ الخالق الموجد؟ ومَنِ الذي يُمده في الوجود؟ ويمد كل ذرة منه، ومَنْ يملك السمع والأبصار؟.

فإنّ الإنسان لا يملك سمعه ولا بصره، فإذا قلت لمن ذهب سمعه: رُدَّ عليك سمعك، يقول: لا أستطيع، وإذا قيل للذي ذهب بصره: رُدَّ عليك بصرك، يقول: لا أستطيع، فلا يستطيع هو ولا العالم كله.

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾.

وهذه أمور مشهودة بالعيان ، ظاهرة في جميع بني الإنسان ، وجميع الأكوان.

إذاً من هو الصمد الممدُّ للعوالم في ذاتها وصفاتها ، وجميع ما هنالك ؟ فالجواب حقاً: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ هو لا غيره ، فالكل مفتقر إليه ، وهو الغني عما سواه.

قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾.

والمعنى: أيها الناس: أنتم الفقراء إلى الله تعالى؛ بوجودكم وذواتكم وذراتكم ، وأسماعكم وأبصاركم ، وحياتكم وقواتكم ، وحركاتكم وسكناتكم، وفي جميع أموركم ، فالفقر فيكم أيها الناس وَصْفٌ ذاتي لكم، وأما الله تعالى فهو الغني عن غيره؛ بالغنى الذاتي المطلق ، فهو وحده الصمد ، الغني عن كل ما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه. والإيمان بذلك فيه إخلاص التوحيد لله تعالى.

فهو سبحانه الصمَد المنفق على جميع خلقه ، يجود على عباده بالعطاء الجزيل ، في الليل والنهار:

روى الشيخان وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ يمين الله ملأى لا يُغيضها نفقة ، سَحّاءُ الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فَإنَّه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على

الماء ، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض»[١].

وروى الإمام مسلم ، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

«**يا عبادي** إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.

يا عبادي كُلكم ضالٌّ إلا مَنْ هديتُه فاسْتَهدوني أهدكم.

يا عبادي كُلكم جائع إلا مَنْ أَطعمتهُ فاسْتَطعموني أطعمكم.

يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أَكْسُكم.

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنَّكم لَنْ تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي لو أَنَّ أَوّلَكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أَنّ أَوّلكم وآخركم وإنْسكم وجِنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أَنّ أَوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحر.

---

(١) هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد ، وللحديث روايات متعددة.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أُوَفِّيكم إيّاها : فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» .

فانظر أيها العاقل إلى سعة كرم الله الصمد ، وجُوده على العباد ، وفضله جل وعلا .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يقول الله عز وجل:

يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته؛ فسلوني الهدى أهدكم ، وكلكم فقير إلاّ من أغنيتُ؛ فسلوني أرزقكم ، وكلكم مذنب إلا من عافيتُ؛ فمن علم منكم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستَغْفَرَني غفرت له ولا أبالي .

ولو أَنَّ أَوَّلكم وآخركم ، وحيَّكم وميتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة .

ولو أَنّ أَوَّلكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا في صعيد ، فسأل كل إنْسان منكم ما بلغت أمنيته؛ فأعطيت كل سائل منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أَنّ أحدكم مَرّ في البحر ، فغمس فيه إبْرة ثم رفعها إليه .

وذلك بأنّي جواد واجد ماجد ، أفعل ما أريد ، عطائي كلام ، وعذابي كلام ، إنما أمري في شيء إذا أردته أَنْ أقول له: كُن فيكون»[1] .

---

(١) عزاه في (الفتح الكبير) إلى الترمذي والنسائي وابن ماجه .

فما أعظم كرم الله تعالى وما أوسع رحمته؟! نعم هو كما قال جل وعلا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فجميع ذرات الكائنات مشمولة برحمته سبحانه، وجميعها تُسبِّح بحمده، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

ويرحم الله القائل:

لا تخضعنَّ لمخلوق على طمع ... فَإِنَّ ذاك مُضِرٌّ منك بالدين

واسترزق الله مما في خزائنه ... فإنّما هي بين الكاف والنون

روى أبو نعيم بسنده، عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه أنه قال: ما من ليلة اختلط ظلامها، وأرخىٰ الليل سربال ستره، إلاّ نادى الجليل جل جلاله:

مَنْ أعظم منى جُوداً والخلائق لي عاصون وأَنَا لهم مراقب، أَكْلؤُهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتَوَلَّىٰ حفظهم كأَنَّهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم.

أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء.

مَنْ ذَا الذي دعاني فلم أستجب له؟.

أَمْ مَنْ ذَا الذي سألني فلم أعطه؟.

أَمْ مَن ذَا أناخ ببابي فنحّيته؟.

أنا الفضل ومني الفضل. أنا الجواد ومني الجود.

وأنا الكريم، ومني الكرم، ومن كرمي أنْ أغفر للعاصين بعد المعاصي، ومن كرمي أَنْ أعطي العبد ما سألني، وأعطيه ما لم يسألْني، ومن كرمي أَنْ أعطي التائب كأنه لم يَعْصِنِي؟.

فأين إلى غيري يهرب الخلائق؟!!.

ويرحم الله القائل:

أسأتُ ولم أحسن وجئتك تائباً وأنى لعبد عن مواليه يهرب
يُؤَمِّل غفراناً فإن خاب ظنُّه فما أحد منه على الأرض أخيب

روى مسلم في (صحيحه) عن أبي موسى رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها».

وفي هذه الأحاديث دليل على أَنّ الله تعالى يُحب أَنْ يَسأله عباده جميع حاجاتهم ومصالحهم في دينهم ودنياهم.

يسألونه: التوبة، والمغفرة، والهداية، ويسألونه: الطعام والشراب، والكساء وكل ما يحتاجونه.

روى الترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سلوا الله تعالى من فضله، فَإنّ الله يُحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفَرَج».

وروى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ لَمْ يَسْألِ الله يَغْضبْ عليه»:

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليسأل أحدكم ربّه حاجته كُلّها، حَتّى يَسألَ شِسْعَ نعله إذا انقطع». زاد ابن عَديٍّ في روايته: «فإن الله إن لم يُيَسره لم يتيسر».
وروى الترمذي، عن ثابت البُنَاني رحمه الله تعالى مرسلاً، عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليسألْ أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شِسْعَهُ إذا انقطع».

وفي الأثر أَنّ سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم قال: «يا ربِّ إني لتعرض عليَّ الحاجة مِنَ الدنيا فأستحي أَنْ أَسْأَلك.

قال: سلني حتى مِلح عَجينك ، وعلف شاتك».

وروى الترمذي وغيره ، عن أنس رضي الله عنه ، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، فإذا أعطيت العافية في الدنيا؛ وأعطيتها في الآخرة: فقد أفلحت».

وروى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل ربُّنَا كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

وفي رواية لمسلم: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: مَن يَدعوني فأستجيب له؟ أو يسألني فأعطيه ، ثم يبسط يديه يقول: من يقرض غير عَديم ولا ظلوم»[1].

وروى الإمام أحمد وغيره ، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه ، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينزل الله في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر».

---

(١) كما في (الفتح الكبير).

الوجه الثالث من الكلام على قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

جاء في الحديث، عن بُريدة رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إنِّي أسألك بأنّي أَشْهد أنَّك أنت الله الذي لا إلّه إلاّ أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفواً أحد.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد سألتَ الله بالاسم الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب».

وفي رواية عند أبي داود: «لقد سألت الله باسمه الأعظم»[1].

ومن خاصة هذا الاسم (الصمد) أنَّ مَنْ أكثر مِنْ ذكره قُضِيت حوائجه، وتيسَّرَت مهماته، وحصل له النجاح والصلاح.

ومَنْ ذكره عند السحر: مائة وخمسة وعشرين مرة كُلَّ يوم ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية، وذلك بأن تقول: يا صمد يا صمد.

فإنّ الأسماء الإلّهية ذِكْرُها لَهُ خصائص لا ينكرها إلا جاهل.

فقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وصححه، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنّ لله تعالى ملكاً موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها، قال له المَلَك: إنَّ أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل».

---

(١) عزاه الحافظ السيوطي: لأبي داود والترمذي وابن ماجه والحاكم.

قوله تعالى :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

هذا تفريع على ما تقدم ، من أنّه سبحانه وتعالى هو الأحد الصمد ، فهو سبحانه ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ، لأنّ الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه ، وذلك يقتضي التركيب ، والتركيب هو من صفات الحوادث ، وهو منافٍ لصفة الأحدية والصمدية ، كما أنّهُ سبحانه ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لأنّ الولد من جنس أبيه ، وهو جل وعلا لا يجانسه أحد ، لأنه واجب الوجود ، وأما ما سواه فهو ممكن الوجود.

﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾

لأنَّ الولد يَطلبه العاقل لإعانته ، أو ليخلفه من بعده ، وهو سبحانه وتعالى القديم الدائم الباقي ، غير محتاج إلى معين ، ولا إلى من يخلفه ، فإنّه سبحانه القديم الذي لا أوّل له ، الباقي الذي لا آخر له.

وهو سبحانه ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لأنّ ذلك يقتضي المادة ، فيلزم منه التركيب وهي من صفات الحوادث ، والله تعالى القديم الغني المطلق.

والمولودية تنافي الأحدية الحقيقية والصمدية ، وهما ثابتتان له تعالى بالبراهين العقلية كما تقدم.

وهو سبحانه : ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لأن ذلك يقتضي أن يكون معدوماً أي : كان في العدم ثم وُلد؛ وهذا باطل ، لأنّه واجب الوجود ، ووجوده ذاتِيٌّ له ، فهو القديم بلا بداية ، الباقي بلا نهاية.

روى الطبراني ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أحداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ كتب الله تعالى له ألفي ألف حسنة» كما في (الترغيب).

وروى البخاري وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال الله عز وجل: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ـ أي: لا ينبغي له ذلك ـ وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ـ أي: لا ينبغي له ذلك ـ.

فأما تكذيبه إيَّايَ فقوله: لن يعيدني كما بدأني.

قال سبحانه: وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته.

وأما شتمه إيّاي فقوله: اتخذ الله ولداً.

وأنا الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أُولد ، ولم يكن لي كُفواً أحد»[1].

فالله تعالى لم يلد ولم يولد ، ولم يتخذ ولداً كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ .

وقد روى البيهقي وغيره ، عن أبي فُدَيْك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما كربني أمر إلا وتمثَّل لي جبريل فقال: يا محمد قل: توكَّلتُ على الحي الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ ، وكَبِّـرْه تكبيراً» .

---

(١) هذه أحد روايات البخاري.

وقد أخبر الله تعالى أَنّ السموات والأرض والجبال تُـنَـزِّه الله تعالى عن الولد ، وتُجلُّه عن ذلك ، وَتُنكر وتغضب كلَّ الغضب على من ينسب لله تعالى الولد.

قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ .

فالسموات والأرض والجبال كُلُّها توحد الله تعالى ، وتُثبتُ له الكمالات اللائقة ، وتنزهه عما لا يليق به ، ومن جملة ما لا يليق به وقد تنزه الله تعالى عنه اتخاذ الولد ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ .

فَمَنْ قال: اتخذ الرحمن ولداً فقد جاء شيئاً إدّاً أي: قولاً تَغضب له السماوات والأرض والجبال ، ومن شدة غضبها تكاد السموات تنفطر ـ أي: تنشق وتتمزّق ـ ، وتكاد الأرض أن تنشق ، وتكاد الجبال أن تَخِرَّ هَدّاً.

وفي هذا دليل على أَنَّ السماوات والأرض والجبال هي تعرف خالقها وتوحده ، وتثبت له صفات الكمال ، وتنزهه عما لا يليق به سبحانه ، كما أنّ جميع الأشياء تعرف الله تعالى وتسبحه وتحمده ، قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وقد أمر الله تعالى الجبال أَنْ تُسَبِّحَ الله تعالى مع داود عليه

السلام: قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان، هل مرَّ بك اليوم أحد ذكر الله تعالى؟ فإذا قال: نعم. استبشر)[1].

وعن محمد بن المنكدر قال: (بلغني أَنَّ الجبلين إذا أصبحا نادىٰ أحدهما صاحبه ـ يناديه باسمه ـ أيْ فلان هل مرَّ بك ذاكر لله تعالى؟ فيقول: نعم، فيقول: لقد أقَرَّ الله عينك؛ لكن ما مرَّ بي ذاكر لله تعالى اليوم)[2].

وقد أخبر الله تعالى عن الحجارة فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الآية.

والخشية إنّما تكون عن معرفة بعظمة الله تعالى، وعزته وجلاله.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إني قاصٌّ عليكما الوصية: آمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين.

أنهاكما عن: الشرك بالله، والكبر.

وآمركما: بلا إلّه إلاّ الله؛ فإنّ السموات والأرض وما فيهما لو وُضِعت في كفة الميزان، ووُضعت لا إلّه إلاّ الله في الكفة الأخرى كانت أرجح.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة وأحمد في (الزهد)، والبيهقي في (الشعب) وغيرهم.
(٢) رواه أبو الشيخ في (العظمة).

ولو أَنّ السموات والأرض كانتا حلقةً فوضعت لا إلَه إلاّ الله لقصمتهما أو لفصمتهما.

وآمركما: **بسبحان الله وبحمده**، فإنّها صلاة كل شيء، وبها يُرزق كل شيء».

فإن كنت أيها العاقل لا تسمع ذلك؛ فصدق وآمن بذلك، فإنَّ الله تعالى قد أخبرك بذلك، ومن أصدق من الله قيلاً؟.

وقد أسمع الله تعالى من شاء من عباده:

فكان صلى الله عليه وآله وسلم: يَسمع تسبيح الأشياء، وكانت تُسلِّم عليه، ويسمع تسليمها كما سيأتي، وقد أخبرنا عن ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما، عن أبي ذر رضي الله عنه، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنِّي أرى ما لا ترون، وأَسْمع ما لا تسمعون، أَطَّت السماء وحُقَّ لها أَنْ تَئِطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وفيه مَلَكٌ واضع جبهته لله تعالى ساجِداً، والله لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى».

فكان صلى الله عليه وآله وسلم يَسمع تسبيح السماوات، وتسبيح الأشياء، وكان أصحابه رضي الله عنهم إذا كانوا عنده يسمعون تسبيح الطعام والشراب. وذلك ببركته صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي البخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كُنَّا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعد الآيات بركة، وأنتم

تعدونها تخويفاً ، بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس معنا ماءٌ.

فقال لنا: «اطلبوا مَنْ معه فضل ماء».

فَأُتِيَ بماءٍ ، فوضعه في إناءٍ ، ثُمَّ وَضَع يده صلى الله عليه وآله وسلم فيه ، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه.

فقال: «حيَّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله تعالى».

فشربنا منه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يشرب[1].

وقد يكرم الله تعالى من شاء من عباده فيسمعهم تسبيح الأشياء.

فجميع الأشياء تَعرف رَبَّها ، وتَشهد له بالوحدانية ، وتُسبحه وتحمده ، كما أَنَّها تعرف سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتشهد له بالرسالة.

فالحجر والشجر والمدر ، شهد برسالته صلى الله عليه وآله وسلم:

روى الترمذي وحسّنه ، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله صلى الله عليه وآله وسلم: جبل ، ولا شجر ، إلاّ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى البزار وأبو نعيم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال

---

(١) كذا في (الدر المنثور) وغيره.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما أوحيَ إليّ جعلتُ لا أمر بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الحاكم بإسناد جَيِّد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه، قال له صلى الله عليه وآله وسلم: «أين تريد»؟.

قال: إلى أهلي.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «وهل لك إلى خير»؟.

قال الأعرابي: وما هو؟.

قال: تشهد أَنْ لا إلَه إلاّ الله وأَنّ محمداً عبده ورسوله» صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقال الأعرابي: هل لك من شاهد على ما تقول؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه الشجرة» وهي على شاطىء الوادي، فأقبلت الشجرة تخدُّ الأرض خدّاً ـ أي: تشق الأرض شقاً ـ فقامت بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ـ أي: شَهِدَتْ له بأنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات ـ ثم رجعت إلى منبتها.

ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال يا رسول الله: إن يتبعوني آتك بهم، وإلا رجعتُ إليك وكنت معك)[1].

وقد نطقت الحيوانات شاهدة برسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

---

(١) قال في (شرح المواهب): رواه الدارمي والبزار والبيهقي والبغوي.

ومن ذلك قِصة الذئب التي جاءت عن أربعة من الصحابة ، وهم: أبو هريرة وأنس وابن عمر وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم ، كما ذكر ذلك الحافظ القسطلاني وغيره.

قال الحافظ القسطلاني: فأما حديث أبي سعيد: فرواه الإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه:

قال أبو سعيد: (عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ـ أي: ألصق أليته على الأرض ـ وقال الذئب للراعي: ألا تَتَّقي الله تعالى ، تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ.

فقال الأعرابي: يا عجباً ذئب مُقعٍ على ذنبه ، يكلمني بكلام الإنس؟!!

فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟.

قال: وماذا أعجب.

فقال الذئب: محمد بيثرب ـ أي: في المدينة المنورة ـ يخبر الناس بأنباء ما قد سبق).

قال أبو سعيد: (فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها ـ أي: الغنم ـ إلى زواية من زوايا المدينة ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ، فنودي بالصلاة جامعة ، ثم خرج صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبرهم) أي: أخبَر الصحابة بقصة كلام الذئب.

وفي رواية للبخاري في تاريخه ، ولأبي نعيم: (فقال الذئب: أعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين هذه النخلات ـ نخلات المدينة ـ يدعو إلى الله تعالى).

ومن ذلك حنين الجذع لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعد ما كان يخطب إلى جانبه ، وقد جاءت هذه القصة بروايات متعددة ، عن كثير من الصحابة الذين كانوا حاضريها ، وسمعوا صوت الحنين ، وقد رواها أهل الصحاح كالبخاري ومسلم ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، ورواها الترمذي وابن ماجه ، وأحمد وأبو يعلى ، وغيرهم من أهل السنن والمسانيد ، ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله تعالى - في حديث حنين الجذع - قال: والخبر به متواتر. ا هـ أي: لكثرة طرقه الصحيحة ، ونَقْل جماعة له عن جماعة مشهورة منتشرة ، يستحيل تواطؤهم على الكذب.

وقد أورده في (المواهب وشرحها) بروايات متعددة:

ومن ذلك رواية الدارمي ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب إلى لزق جذع ، فأتاه رجل فقال: أصنع لك منبراً تخطب عليه؟ فصنع له منبراً.

فلما قام عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب ، حنّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها ، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضمّه إليه فسكن ، فأمر به أن يحفر له ويدفن).

فهذا كله يدل على أَنَّ الجمادات والنباتات والحيوانات كلها تعرف ربّها وخالقها ، وتعرف وتشهد أَنّ لا إلّه إلاّ الله وأَنّ محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، وعلينا معهم أجمعين أبداً أبداً أبداً.

* * *

قوله تعالى:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

أي: لم يماثله أحد، ولم يشابهه أحد، ولا يشاكله ولا يكافئه أحد؛ من صاحبة وغيرها، بل هو الأحد الصمد.

قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

فكل ما سوى الله تعالى فهو مخلوق له جل وعلا، فكيف يُتصور أَنْ يكون له شبيه أو نظير أو كُفُواً له؛ جلّ وعلا سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وإنما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾ ولم يقل ليس مثله شيء، تقوية لنفي المشابهة له سبحانه، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أقوى وأبلغ من ليس مثله ـ كما هو مقرر في علم البلاغة.

قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

تُسمى هذه السورة سورة الإخلاص، لأنَّ فيها إخلاص التوحيد لله تعالى، فإنَّها مشتملة على إثبات صفات الله تعالى، وفيها تنزيه الله تعالى عما لا يليق من النقائص، والمشابهة والكفء، وما وراء ذلك.

وتوحيد الله تعالى يستلزم من الموحد إثبات الكمالات المطلقة

اللائقة به سبحانه ، على وجه لا يتناهى ، وتنزيه الله تعالى عما لا يليق.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ هذا إثبات ، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ هذا تنزيه عن الحدوث ، وعن المشابهة والمماثلة.

ولما سئل الإمام الجنيد رحمه الله تعالى عن التوحيد قال: التوحيد: تمييز القديم عن الحادث.

فهو سبحانه لا يشبه الحوادث ، بل هو مُنَزَّهٌ عن الشبه بالحوادث.

فتُثبتُ ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة ، مع التنزيه عن المشابهة والمماثلة للحوادث.

وقد نقل كثير من العلماء ، أَنَّ رجلاً جاء إلى الإمام مالك رضي الله عنه فقال له: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟.

فأطرق الإمام مالك ثم قال له: (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة؛ وما أظنك إلا ضالاً) وأمر به فأُخرج.

وقد روي عنه أنّه قال للسائل: (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ـ أي: لا تحيط به العقول ولا تدركه ـ والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) إلخ.

ولا تنافي بين الجوابين ، فإن مدلولهما واحد ، ونظير هذا الجواب جاء عن عدة أئمة من السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

وقد ذكر العلماء أَنّ الزمخشري سأل الإمام الغزالي رضي الله

عنه عن هذه الآية أي: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فأجابه بقوله:

قلْ لمن يفهم عني ما أقولُ ... قصِّر القول فذا شرح يطولْ
ثَمَّ سرٌّ غامض مِن دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنتَ لا تعرف إياكَ ولا ... تدْرِ مَنْ أَنْتَ ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركِّبَتْ ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين مِنْك الروح في جوهرها ... هل تَراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تَحصُرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري مَن على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي[1] الرب أم كيف يُرى ... فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو ربُّ الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتاً وصفاتٍ وسما ... وتعالى قدره عما تقول

فالاستواء معلوم لكنَّ الكيف مجهول، فإنّه سبحانه لا مشابهة بينه وبين خلقه. فالإثبات والتنزيه هما: أصل الإيمان، وأساس التوحيد، وإخلاص التوحيد لله تعالى.

فتنزيه الله تعالى عما لا يليق به يُسمى تسبيحاً، وإثبات الكمالات والمحامد لله تعالى يُسمى حمداً.

---

(١) وجاء في بعض نقول المتقدمين لهذه الأبيات (كيف تَجلَّى) كما في الحاوي. وهو الأقرب.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بينهما ، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ .

وقد يُفرد سبحانه ذكر التسبيح في مواضع لأنّه ذَكر في مقابله الحمد مفرداً في مواضع أخرى.

على أَنّ ذكر التحميد بالإفراد يدل ضمناً على التنزيه ، فإذا قلتَ: الله تعالى سميع بصير ، هذا إثبات وحمد ، وفي ضمنه تنزيه عن ضدهما ، وإذا سَبَّحْته ونزهته عن النقائص والعيوب ، فقد أثبت له الكمالات والمحامد ضمناً.

قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية ، وهكذا جاءت المسبحات.

وقال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ .

وقد أخبر الله تعالى أَنّ جميع الأشياء تُسبح بحمده:

فأخبر عن حملة العرش قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾.

وقد أمر سبحانه بتسبيحه وحمده:

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

ففي التسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وفي الحمد إثبات الكمالات اللائقة به، ولذلك جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة بالحثِّ على الإكثار من التسبيح والتحميد، والترغيب في الإكثار منهما، لما يترتب عليهما من الفضائل، والأجر الكبير عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبرك بأحبِّ الكلام إلى الله تعالى»؟.

---

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن.

قلت: بلى يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله تعالى.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أحبَّ الكلام إلى الله تعالى سبحانه الله وبحمده»(١).

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أيّ الكلام أفضل؟.

قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده».

والإكثار من التسبيح والتحميد يحط الذنوب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة؛ غفرت له ذنوبه وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْر»(٢).

والإكثار منهما يجلب الخير الكثير:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أقول سبحانه الله، والحمد لله، ولا إلّه إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ غصناً فنفضه ـ أي: هزَّه وحركه ـ فلم ينتفض ـ أي: من ورقه اليابس ـ ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه مسلم والترمذي والنسائي، قال: وفي رواية للنسائي «من قال: سبحان الله وبحمده حَط الله عنه ذنوبه؛ وإن كانت أكثر من زبد البحر».

(٣) رواه مسلم والترمذي..

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ سبحان الله، والحمد لله، ولا إلَه إلاّ الله، والله أكبر؛ تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها»[١].

والتسبيح والتحميد هما من الباقيات الصالحات:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات».

قيل: وما هن يا رسول الله؟.

قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خذوا جُنتكم» ـ أي: ما يقيكم ـ.

قالوا: يا رسول الله: عَدوٌّ حضر؟.

قال: «لا، ولكن جُنتكم من النار.

قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلَه إلا الله، والله أكبر ـ فإنَّهنَّ يأتين يوم القيامة مجنَّبات، ومعقِّبات، وهنَّ الباقيات الصالحات»[٣].

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، والنسائي، وابن حبان في (صحيحه).

(٣) قال في (الترغيب): رواه النسائي واللفظ له، والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
قال: ومجنَّبات بفتح النون. أي: مقدمات أمامكم، وفي رواية الحاكم: «منجيات» بتقديم النون على الجيم. وكذا رواه الطبراني في (الأوسط) وزاد: «ولا حول ولا قوة إلاّ بالله». =

وعن جويرية رضي الله عنها ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من عندها ، ثم رجع بعد أَنْ أضحى ؛ وهي جالسة تُسَبِّح فقال: «ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها»؟ قالت: نعم.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد قلتُ بعدك أَرْبع كلمات ثلاث مرات ؛ لو وُزنتْ بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتهن.

سبحان الله وبحمده: عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته»[1].

والتسبيح والتحميد غراس في الجنة:

عن جابر رضي الله عنه ، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده: غُرست له نخلة في الجنة»[2].

وروى البزار بإسناد جيد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قال سبحان الله وبحمده: غُرست له نخلة في الجنة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر به وهو يغرس غرساً ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا هريرة ما الذي تغرس»؟.

= قال: ورواه في (الصغير) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فجمع بين اللفظين ، فقال: «منجيات ومجنبات» وإسناده جيد قوي.

و«معقِّبات» بكسر القاف المشددة ـ أي: تعقبكم وتأتي من ورائكم ـ ا هـ أي: لتحفظكم.

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(٢) رواه الترمذي وحَسَّنَه ، والنسائي بلفظ: «غرست له شجرة في الجنة».

قلت: غراساً.

قال: «ألا أدلك على غرس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٓه إلا الله، والله أكبر؛ تُغْرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة».

قال في (الترغيب): رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

في الجنة قيعان كلها صالحة للغَرس، والغِراس هو ما يلي:

روى الترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أَنّ الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأَنّها قيعان[1]، وأَنّ غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٓه إلا الله، والله أكبر».

ورواه الطبراني وزاد في روايته: «ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

التسبيح والتحميد والتهليل يجتمعن حول العرش يشفعن بصاحبها:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ مما تَذْكُرون مِنْ جَلالِ الله التَّسبيح والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهُنّ دويٌّ كدويِّ النَّحل، تذكِّرُ بصاحبها، أَمَا يُحب أَحَدُكم أَنْ يكون له أو لا يزال له من يُذَكِّر به»[2].

---

(١) جمع قاع وهو الأرض المنسبطة الواسعة.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا، وابن ماجه واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروى الحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلّه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال الله تعالى: أسلم عبدي واستسلم».

ففي هذه الصيغة شهادة من الله تعالى لقائلها بالإسلام والاستسلام.

فانظر يا أخي في هذا الفضل الإلّهي، المرتب على التسبيح والتحميد وما تقدم، فأكثر من ذلك ما استطعت.

ومن جملة ما جاء في فضل التسبيح والتحميد أنَّها غراس في الجنة، وهذا فضل كبير، وثواب عظيم، وخير جزيل، فإياك أَنْ تَسْتَهين به، فإنّ الله تعالى إذا غرس لك في الجنة غرسة واحدة فقد ضمن لك أَنْ يُحييك على الإيمان، وأَنْ يميتك على الإيمان، وأَنْ يُدخلك الجنة حتى ترى غرستك، وتنعم بها، فما ظنك إذا غرس لك في الجنة غرسات كثيرة، أتظن أَنّ الله تعالى يُعطيها لغيرك؟ هذا ما يكون، فإنّها غُرسَتْ لك، بسبب تسبيحك وحمدك، أم تَظُنُّ أَنّه يميت تلك الغرسة؟ هذا ما يكون، لأنَّ غرسات الجنة وأشجارها لا تموت، لأنّ الجنة دار البقاء والخلود، بل لا تزال تَنْمو غرستك وتعظم إلى ما شاء الله تعالى.

فإذا غرس لك في الجنة غرسة فذلك بشرى لك عظيمة، بثباتك على الإيمان، والموت عليه، ثم دخول الجنة.

ولذلك جاءت البشرى العظمى من الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم، بسبب الحبيب الأكرم سيدنا محمد صلى

الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء ، جاءت البشرى بذلك إلى هذه الأمة ، ليفرحوا بفضل الله تعالى ورحمته ، ويُكثروا من الغَرسَات في قيعان الجنة الواسعة ، وأَنْ يستكثروا لهم من بيوتٍ في الجنة.

كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنىٰ الله تعالى له بيتاً في الجنة»[1]

فالبيت الذي يبنيه الله تعالى للمؤمن في الجنة لا يَخرب ، ويلزم من ذلك أنَّه يموت على الإيمان ، ويدخل الجنة ، ويسكن ذلك البيت لا محالة ، لأنّه بُني له.

والبيت الذي بني في الجنة على حسب مقام صاحبه:

جاء في الحديث المتفق عليه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك ـ وفي رواية البخاري: «قد أتت بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب»[2] ـ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام مِنْ ربِّها ومني ، وبَشِّرها ببيت في الجنة مِنْ قَصَب؛ لا صخب فيه ولا نصب»[3].

---

(١) انظر (الفتح الكبير) وغيره.

(٢) قال في (شرح المواهب): وللإسماعيلي: «فيه إدام أو طعام أو شراب» وفي رواية الطبراني: كان حيساً.

(٣) **القَصَب**: المراد به: اللؤلؤ المجوف كما في رواية للطبراني: «ببيت من لؤلؤة مجوفة»، **والصخب**: الصياح والمنازعة برفع الصوت، **والنصب**: التعب كذا في (شرح المواهب).

وفي رواية للنسائي ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يقرىء خديجة السلام» فأخبرها.

فقالت: (إنّ الله هو السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام ورحمته وبركاته).

زاد ابن السني في روايته: (وعلى من سمع السلام إلا الشيطان).

قال الحافظ في (الفتح): قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور عقلها ، وفقهها ، لأنّها لم تقل: وعليه السلام كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد: السلام على الله ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «إن الله هو السلام ، فقولوا: التحيات لله».

فعرفت السيدة خديجة لصحة فهمها أَنّ الله تعالى لا يُرَدُّ عليه السلام كما يُردُّ على المخلوقين ، لأنّ السّلام من أسمائه تعالى ، وهو أيضاً دعاء بالسلامة ، وكلاهما لا يَصلح أن يُردَّ به السلام على الله ، فكأنها قالت: كيف أقول: عليه السلام؟ والسلام اسمه سبحانه ، ومنه يُطلب ، ومنه يحصل.

فيستفاد منه أَنّه لا يليق بالله تعالى إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد السلام عليه سبحانه الثناء عليه ، ـ أي: فلم تقل: وعليه السلام ، بل جاءت بالثناء وهو أَنّ الله تعالى هو السلام ـ ثم غايرت بين ما يليق بالله تعالى ، وما يليق بغيره فقالت: (وعلى جبريل السلام ، وعليك ـ أي: يا رسول الله ـ السلام ورحمة الله وبركاته) كما في رواية النسائي.

ويستفاد منه رَدُّ السلام على مَن أَرْسَلَه ومَنْ بَلَّغه. ا هـ.

ومن فوائد التسبيح والتحميد والتكبير أَنَّهما يُعطِيَان صاحبها قُوَّة حتى في البدن:

جاء في الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما، عن سيدنا علي رضي الله عنه، أَنّ السيدة فاطمة عليها السلام، شكت ما تلقىٰ في يدها من الرحىٰ، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً، فلم تجده، فذكرتْ ذلك لعائشة رضي الله عنها.

فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته ـ أي: السيدة عائشة رضي الله عنها ـ.

قال علي رضي الله عنه: فجاءنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ أقوم فقال: «مكانك» فجلس صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيننا. حتى وجدتُ برد قدميه صلى الله عليه وعلى آله وسلم على صدري.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلاَ أَدُلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما ـ وفي رواية: «إذا أخذتما مضاجعكما» ـ فكبرا أربعاً وثلاثين، وسَبِّحَا ثلاثاً وثلاثين، واحْمدا ثلاثاً وثلاثين؛ فهذا خير لكما من خادم».

وفي رواية: تأخير التكبير عن التسبيح والتحميد، فإنّ للحديث روايات أخرى أطول من هذا.

فالتسبيح والتحميد والتكبير قبل النوم يعطي قوة لصاحبه، وعوناً من الله تعالى.

ومن جملة ما ورد في فضل التسبيح والتحميد ما يلي:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه؛ فمعتقها أو مُوبقها»[١].

فسبحان الله والحمد لله نورهما يملأ ما بين السماء والأرض؛ فأكثر منهما ما استطعت، وبهما يقوىٰ الإيمان ويثبت.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أَنَّ ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور - أي: الأموال - بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم[٢].

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أو ليس قد جعل الله ما تصدقون به؟.

إنَّ بكل تَسبيحة صَدَقَة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكُلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تَهْلِيْلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة».

قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أرأيتم لو وضعها في الحرام

---

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

(٢) أي: ولا مال عندنا نتصدق به.

أَكان عليه وِزْرٌ ؟، فكذلك إذَا وَضَعها في الحلال كان له أجر»[١].

والمعنى أَنَّ الفقراء ظَنُّوا أَنْ لا صدقة إلا بالمال ، وهم عاجزون عن ذلك ، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الصدقات أنواع متعددة ، وهم لا يعجزون عنها كلها.

قال الحافظ المنذري: وفي رواية لمسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سَبَّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحَمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين ، وكَبَّرَ الله ثلاثاً وثلاثين؛ فتلك تسعة وتسعون ، ثم قال: لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ـ غفرت خطاياه وإنْ كانت مثل زبد البحر»[٢].

ولا مانع أنْ تقول: «له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت» فقد ورد ذلك في غير هذا من الأحاديث الصحيحة.

فواظب أيها المسلم والمسلمة على ذلك وراء كل صلاة مكتوبة ـ أي: مفروضة ـ فإنَّ أجرها كبير وثوابها عظيم.

ومن فضائل التسبيح والتحميد:

أَنّ أهل الجنة في الجنة لا يغفلون عن التسبيح والتحميد ، كما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يبولون ، ولا يتغوّطون ، ولا يمتخطون».

---

(١) رواه مسلم ، كما في (الأربعين) للإمام النووي.

(٢) قال الحافظ المنذري: ورواه مالك ، وابن خزيمة في (صحيحه) بلفظ هذه ، إلا أَنّ مالكاً قال في روايته: «غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

قيل: فما بال الطعام[1]؟.

قال: «جُشاء كرشح المسك، يُلهَمون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النَفَس»[2].

فأهل الجنة في الجنة لا ينقطع تسبيحهم ولا حمدهم لله تعالى، ولكن ذلك من غير تعب ولا مَشَقَّة، بل هو من جملة نعيمهم الذي لا يستغنون عنه، فهو كَلَفٌ بغير تكلف، حباً في الله تعالى، وهُياماً به سبحانه وتعالى.

جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه ـ آمين.

ومما ورد في فضائل التسبيح والتحميد:

ما جاء في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله ملائكة يَطوفون في الطُرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادَوا هلمُّوا إلى حاجتكم، فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.

فيسألهم ربُّهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟.

فيقولون: يُسبحونك، ويُكبرونك، ويَحمدونَك، ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأوني؟.

فيقولون: لا يا ربِّ ما رأوك.

فيقول: كيف لو رأوني؟.

---

(١) أي: أين يذهب ما يأكلون من الطعام.

(٢) انظر (تيسير الوصول) وغيره.

فيقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة ، وأشدَّ لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً.

قال: فيقول سبحانه: ما يسألون؟.

فيقولون: يسألونك الجنة.

فيقول: هل رأوها؟.

فيقولون: لا يا ربِّ ما رأوها.

فيقول: كيف لو رأوها؟.

فيقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة.

قال: فممَّ يتعوذون؟.

فيقولون: يتعوذون من النار.

فيقول: هل رأوها؟.

فيقولون: لا يا رب ما رأوها.

فيقول: كيف لو رأوها؟.

فيقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً ، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: أُشهدكم أَنِّي قد غفرتُ لهم.

قال: فيقول ملك منهم: فيهم فلان عبد خَطّاء[1] ليس منهم ، إنما مَرَّ لحاجةٍ فجلس.

---

(١) أي: في ذلك الجمع عبد كثير الخطأ ليس منهم ، إنما مَرَّ لحاجة له.

فيقول جَلَّ وعلا: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وإنما سألوا الله تعالى الجنة مع أَنّ الله تعالى هو يُعْبَد لذاته ولو لم يخلق جنةً ولا ناراً، لأنه هو الإلّه الحق، المعبود لذاته، وحُقَّ له أن يعبد لذاته سبحانه، ولكن سألوا الله تعالى الجنَّة لأنَّ فيها أَنواعاً من النعيم والفضل والتكريم الإلّهي:

ففيها تجلياته الرضوانية المتواليه، وفيها تسليماته، وتحياته المتواصلة على أهل الجنة، وفيها تجلياته بالرؤية العيانية لأهل الجنة، وفيها مكالمته ومحاضرته لأهل الجنة، وفيها المرافقة لسيد العالمين، فخر الكائنات، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمرافقة لسائر الأنبياء والمرسلين ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ والصديقين، والشهداء، والصالحين؛ وحسن أولئك رفيقاً. كما سيتضح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أُذن سَمِعَت، ولا خطر على قلب بشر.

ففيها أَلْوانٌ من الفَضْل والجود والكرم الإلّهي.

ولذلك دعا الله تعالى إليها عباده، ليكرمهم بذلك، فهي دار الكرامة الإلّهية، وأمرهم بالمسارعة إليها، وأمرهم بالمسابقة

---

(١) قال في (تيسير الوصول): أخرجه الشيخان والترمذي، قلت: وقد ذكرت روايات هذا الحديث في بعض كتبي فارجع إليه.

إليها، وأمرهم بالمنافسة عليها، ووعدهم بها، ووصفها لهم، وشوَّقهم إليها.

فشأن المؤمن أَنْ يعبد الله تعالى لذاته، لأَنَّ العبادة هي حَقٌّ ذاتي لله تعالى على عباده، ومَع ذلك يَرْغَبُ فِيْمَا رغَّبه الله تعالى فيه، ويَرْهَبَ مِمَّا خوفه الله منه، يَفْعل ذلك كُلَّه حُباً في الله تعالى، وتقرُّباً إليه، وإرضاءً له سبحانه، وابتغاءَ مرضاته.

ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتقدم عن أهل ذكر الله تعالى: أنّهم يسألون الله الجنة، ويتعوذون به من النار.

جاء في (الصحيحين) وغيرهما، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الدابة.

فقال لي: «يا معاذ».

قلت: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم سكت ساعة ثم قال: «يا معاذ».

قلتُ: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم سكت ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل».

قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: «أَتَدري ما حَقُّ الله على عباده»؟.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حقُّ الله على عباده أَنْ يَعْبُدوه ولا يُشركوا به شيئاً».

ثم قال: «يا معاذ».

قلت: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: «أتدري ما حق العباد على الله إذا عَبَدوه ولم يُشركوا به شيئاً»؟.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حق العباد على الله إذا عبدوه ولم يُشركوا بِهِ شيئاً أَنْ لا يُعَذِّبَهم».

فلله تعالى على عباده حَقٌّ ذاتي أَنْ يعبدوه، لأنَّه ربُّهم، وكلهم عباده، وقد حَقَّ سبحانه على نفسه فضلاً منه وكرماً أَنْ لا يعذبهم إذا عبدوه، وأَنْ يُدخلهم الجنة.

وقد فصلت الكلام على ذلك في كتاب (التقرب) فارجع إليه ينفعك الله تعالى به.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

اللهم إنّا نسألك من فضلك العظيم.

ولَمَّا كانت الجنة فيها ألوانٌ من النعيم، وفيها تَجِيَّات ربِّ العالمين لأهل الجنة على وجه التوالي، وفيها تجلياته الرضوانية على أهل الجنة، وفيها تجلياته بالرؤية على أهل الجنة؛ على حسب مراتبهم ومقاماتهم ومنازلهم، وفيها مكالمته لأهل الجنة، وفيها سماع القرآن الكريم من ربِّ العزة جل وعلا.

وفيها المرافقة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسائر

النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين.

وفيها ما لا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وفيها وفيها.

لذلك دعا الله تعالى عباده إليها ، وأمرهم بالمسارعة إليها ، وأمرهم بالمسابقة إليها أيضاً ، وأمرهم بالمنافسة عليها. كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

اللهم إنّا نسألك: إيماناً لا يَرتَدُّ ، ونَعيماً لا ينفد ، وقُرَّةَ عينٍ لا تَنْقطع ، ومرافقة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى الجنَّة جنة الخلد ، وصلى الله العظيم ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، في كل وقت وحين ، عدد ما وسعه علم الله تعالى ربِّ العالمين ـ آمين.

دعوة الله تعالى عباده إلى الجنة دار السلام

قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. اللهم اهدنا فيمن هديت.

روى الدارمي بإسناده ، عن عَطِيَّة أنه سمع ربيعة الجُرَشي رضي الله عنه يقول: أُتي[1] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: «لتنمْ عينك ، ولتسمع أذنك ، وليعقل قلبك».

---

(١) أي: أتته الملائكة ، وفي رواية لغير الدارمي هما: جبريل وميكائيل عليهما السلام ، وأصل هذا الحديث في الصحاح.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فنامت عيناني، وسمعت أذناي، وعقل قلبي».

قال: «فقيل: سَيِّدٌ بنىٰ داراً، فصنع مأدبة، وأرسل داعياً.

فمن أجاب الداعي: دخل الدار، وأكل مِنَ المأدبة، ورضي عنه السيد، ومَنْ لَم يُجب الداعي: لم يدخل الدار، ولم يطعم من المأدبة، وسخط عليه السيد».

قال: «فالله ـ جلَّ جلاله ـ السيّد، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم الداعي، والدارُ الإسلامُ، والمأدُبة الجنة».

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في (الدلائل) عن سعيد بن هلال قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم وتلا قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

فقال: حَدثني جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال: «إني رأيت في المنام، كأنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ عند رأسي، وميكائيل ـ عليه السلام ـ عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً.

فقال: اسمع سَمِعَتْ أُذُناك، واعْقِل عَقَلَ قَلْبُك، إنما مثلك ومثل أمتك؛ كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم جعل فيها مأدبة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من ترك.

فالله ـ تعالى ـ هو المَلك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الرسول، فَمَن أجابك:

دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها»[1].

الله تعالى يأمر عباده بالمسارعة إلى مغفرته وجَنَّتِه

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده أَنْ يُسارعوا إلى مغفرة من ربِّهم الغفور الرحيم ، وذلك بالمسارعة إلى أسباب المغفرة من الأعمال الصالحة ، والأقوال الطيبة. وما أمرهم بالمسارعة إلى مغفرته إلا ليغفر لهم ، لأَنَّه هو ربُّهم ـ وهو أرحم بهم ـ وهم عباده.

قال تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

كما أَنَّه سبحانَه أمرهم بالمسارعة إلى الجنة ، وقَدَّم المغفرة لأَنَّها تخلية عن الذنوب والعيوب ، فهي مُقدَّمة على التحلية ، فيدخلون الجنة وهم أخيار أطهار طيبون ، كما قال تعالى: ﴿ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

كما أَنَّ المغفرة قُدِّمَتْ لأَنَّها سبب في دخول الجنة ، وذلك بأن يتفضل الله عليهم سبحانه فيغفر لهم؛ ويرحمهم؛ فيدخلهم الجنة.

جاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يُدخل أحدُكم عمله الجنة».

---

(١) انظر (الدر المنثور) وغيره.

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟.

قال: «ولا أَنَا إلاَّ أَنْ يتغمَّدَني الله تعالى بمغفرةٍ ورحمة»، وفي رواية «بفضل ورحمة».

ووَصَف الجنة بالسعة: فقال: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

أي: سماوات الآخرة وأرض الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ الآية.

فتلك السماوات والأرض أوسع من هذه السماوات والأرض بكثير، فإنَّ أدنى أهل الجنة منزلة له قدر الدنيا وعشرة أمثالها، وله ما اشتهت نفسه، وقَرَّت عينه ـ كما سيأتي في الحديث.

وبيَّنَ الله تعالى أَنَّ الجنة التي أمرهم بالمسارعة إليها أُعِدَّت للمتقين:

أي: فليستعدوا لها بالتقوى، وهي: امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب ما نهى الله عنه.

والتقوى على مراتب وأهلها على مراتب، وقد بَيَّنْتُ وفَصَّلْت الكلام على مراتب التقوى في كتاب **(التقرب)** فارجع إليه.

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يخبر الله تعالى عباده أَنَّ الجنة هي موجودة ومخلوقة، وأنَّها أَعَدَّها الله تعالى يوم خلقها، أَعدّها للمتقين، ويبين لك ذلك ما جاء في الأحاديث، وقد دخلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج، وأخبر عنها كما جاء في أحاديث المعراج.

وروى أصحاب (السنن) وصححه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمَّا

خلق الله تعالى الجنة قال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها.

فذهب فنظر إليها فقال: وعِزَّتك لا يسمع بها أحد إلاّ دخلها. فحفَّها بالمكاره[1]، ثم قال: اذهب فانظر إليها.

فذهب فنظر إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أَنْ لا يدخلها أحد.

ولما خلق الله تعالى النار قال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها.

فذهب فنظر إليها فقال: وعزتك لا يَسمع بها أحدٌ فَيَدخلها. فحفّها بالشهوات[2]، ثم قال: اذهب فانظر إليها.

فذهب فنظر إليها فلما رجع قال: وعزتك لقد خشيت أَنْ لا يَبْقى أحد إلاّ دخلها».

فالجنة أُعِدَّتْ للمتقين، والنار أُعِدَّت للكافرين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات»[3].

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة، تدل على أنَّ الجنة والنار هما مخلوقتان وموجودتان، وفي ذلك ترغيب في الجنة والحثُّ على الدخول فيها؛ وذلك باقتحام عَقَبة التكاليف بِقُوَّة واستعانة بالله تعالى.

---

(١) أي: بالتكاليف الشرعية: الأوامر والمناهي، فإنّها تكرهها النفوس الفاسدة.

(٢) أي: أحاطها بالشهوات المحرمة، فمن اقتحم الشهوات المحرمة وقع فيها، ويتوب الله على من تاب.

(٣) رواه مسلم والترمذي، وفي رواية للشيخين، عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله، وقال: «حجبت» بدل «حُفّتْ» في الموضعين، كما في (تيسير الوصول).

وفي ذلك أيضاً التخويف من عذاب النار ، والتحذير من الوقوع في المحرمات ، والتوقي من عذاب الله تعالى ، وذلك بتقوى الله تعالى ، فإنَّ تقوى الله تعالى وقاية من عذابه ، وعقابه ، وعتابه ، وحجابه.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أَنْ يَقُوا أَنْفُسَهم وأَهليهم نار جهنم ، فإنَّ فيها العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

فالواجب على المؤمن أن يَقيَ نَفْسَه وأهله النار ، وأَنْ يأمرهم بتقوى الله تعالى؛ وهي: امتثال أوامره ، واجتناب مناهيه ، فإنّ الإنسان مسؤول عن أهله وأولاده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل هذه الآيـة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ ، تلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على أصحابه ، فَخَرّ فَتىً مغشياً عليه ، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك.

فقال: «يا فتى قل: لا إلَه إلا الله». فقالها فبشَّرَه بالجنة.

فقال أصحابه: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَمِنْ بَيْنِنا[1]؟.

---

(١) أي: هذه البشارة خاصة به من بيننا ، فبيّنَ لهم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّها عامة لكل من خاف مقام الله تعالى ووعيده.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَوَ مَا سَمِعْتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوْقد عليها - أي: على النار - ألف عام حتى احْمَرَّت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يُطفأ لهبها».

وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل أسود، فهتف بالبكاء..

فنزل جبريل عليه السلام فقال: «من هذا الباكي بين يديك»؟.

فقال: «رجل من الحبشة» وأثنى عليه معروفاً.

قال: «فإنَّ الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي، وارتفاعي فوق عرشي، لا تبكي عين في الدنيا من مخافتي إلاّ أكثرت ضحكها في الجنة»[2].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عذاب العُصاة من المسلمين:

روى مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمّا أهلُ النار الذين هم أهلها - أي: الكفار - فإنّهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - فهم عصاة المسلمين - فأماتَتْهم إِمَاتَةً،

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه البيهقي والأصبهاني. اهـ.

حتى إذا كانوا فحماً ـ أي: صاروا فحماً ـ أُذِن في الشفاعة ـ أي: شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم ـ فجيء بهم ضَبَائِر ضَبائر ـ أي: جماعات بعد جماعات ـ فبُثُّوا على أَنْهار الجنة.

ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم الماء؛ فينبتون نبات الحِبَّة في حميل السيل»[١].

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون الجنة يُسمّون الجُهَنَّمِيِّين»[٢].

فشأن المؤمن أَنْ يرجوَ رحمة الله تعالى، ويرغب فيما عنده، وأَنْ يخَاف مِنْ عذاب الله تعالى، ويخاف وعيده.

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا معشر المسلمين ارغبوا فيما رغَّبَكم الله تعالى فيه، واحذروا مما حذَّركم الله تعالى منه، وخافوا مما خوفكم الله به؛ من عذابه وعقابه؛ ومن جهنم.

فإنّها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلَّتْها لكم، وجعلت ماءها كله حُلواً.

ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خَبَّثَتْها ـ أي: أفسدتها ـ عليكم»[٣].

---

(١) انظر (تيسير الوصول).

(٢) قال في (تيسير الوصول): رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

(٣) رواه البيهقي كما في (ترغيب) المنذري وغيره.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن عظيم نعيم الجنة ، وعن عظيم عذاب النار :

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيُصبَغ في النار صَبغة ، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيتَ نعيماً قَطُّ ؟ ، هل مرَّ بك خير قَطُّ ؟ - أي: في الدنيا - فيقول: لا والله يا ربِّ.

ويؤتىٰ بأشدِّ الناس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فَيُصْبغ في الجنة صَبغة ، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ بُؤساً قَطُّ ؟ ، هل مرَّ بك شِدّةٌ قط ؟ - أي: لما كنت في الدنيا - فيقول: لا والله يا ربِّ ، ما مر بي بُؤس قط ، ولا رأيتُ شدة»[1].

فهذا رجل كافر كان في الدنيا من أنعم أهل الدنيا ، وأشدهم رفاهية ، لما انصبغ في النار صبغة نَسِيَ جميع ما مرَّ عليه من النعيم ، وهذا رجل مؤمن كان في الدنيا أشد الناس بُؤساً وكرباً ، فصبغ في الجنة صبغة ، فنسي جميع ما مرَّ عليه في الدنيا من البؤس والشدائد والكروب.

فاعتبر أيها العاقل ، وباعد نفسك من النار ، وباعد أولادك وأهلك وذويك.

ونسأل الله تعالى العافية.

فما أعظم نعيم الجنة ؟ ! وما أعظم عذاب النار ؟ !

---

(١) رواه مسلم.

كان صلى الله عليه وآله وسلم يحث الصحابة على سؤال الجنة ، والتعوذ من النار :

روى البخاري ، عن أنس رضي الله عنه قال: (كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾) .

وروى أبو داود ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجلٍ: «كيف تقول في الصلاة»؟ .

قال: أتشهد وأقول: اللهم إنِّي أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار . أَمَا إنِّي لا أُحْسن دَندنتك ، ولا دندنة معاذ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حولها ندندنْ».

قال الإمام النووي: الدندنة كلام لا يُفهم معناه ، ومعنى حولها ندندن: حول الجنة والنار ، أو حول مسألتهما؛ إحداهما سؤال طلب ، والثانية سؤال استعاذة. ا هـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «قولوا: اللهم إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فِتْنَةِ المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

عليه وآله وسلم: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة.

ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما استجار عبد من النار سبع مرات، إلا قالت النار: يا رب إنّ عبدك فلاناً استجارك مني فأجره.

ولا سأل عبد الجنة سبع مرات، إلا قالت الجنة: يا ربِّ إنَّ عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة»[2].

الله تعالى يأمر عباده بالمسابقة إلى الجنة

قال الله تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

في هذه الآية الكريمة، يأمر الله تعالى بالمسابقة إلى مغفرته سبحانه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب مناهيه، كما تقدم معنا.

ويأمرهم بالمسابقة إلى الجنة، وذلك لِما أَعَدَّ الله تعالى فيها من ألوان النعيم الجسماني، والقلبي، والروحاني، والعقلي،

---

(١) رواه ابن حبان في (صحيحه)، وأصحاب (السنن) كما في (الترغيب).

(٢) قال المنذري: رواه أبو يعلى بإسناد على شرط الشيخين.

والسمعي ، والبصري؛ إلى ما هنالك ، ولأنه سبحانه يتفضل على أهل الجنة بأنواع من التكريم والفضل:

ففيها: مرافقة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسائر النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، **وفيها** تحياته المتواصلة لأهل الجنة ، وتجلياته بالرضوان ، وتجلياته بالرؤية ، ومكالمته لأهل الجنة ، وسماع كلامه تعالى ، كما تقدم آنفا. ونفصل ذلك إن شاء الله تعالى.

عن كريب ، أَنَّه سَمِعَ أسامة بن زيد رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلَا هَل مُشمِّرٍ للجنة ، فإنّ الجنة لا حظر لها ، هي وربِّ الكعبة: نور يتلألأ ، وريحانة تهتزُّ ، وقصر مشيد ، ونهر مطَّرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحُلل كثيرة ، ومُقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحَبِرة[1] ونعمة ، في محلة عالية بهيّة».

قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمِّرون لها.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قولوا: إن شاء الله».

فقال القوم: إنْ شاء الله.

الجنة فيها مرافقة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) حبرة: من الحبور والسرور ، قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، والبزار ، وابن حبان في (صحيحه) والبيهقي. اهـ.

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ .

اللهم اجعلنا منهم بجاهه عندك صلى الله عليه وآله وسلم آمين .

في هذه الآية الكريمة ، يذكر الله تعالى نوعاً من الفضل الإلٓهي على أ هل الجنة ، أفرده بالذكر ، وأنّه فَضْل من الله تعالى كبير ، وهو المرافقة والمعية للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وإنّ إمَام الكُلِّ ، وأفضل الكل هو سيد الكل : سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد نزلت هذه الآية مبشرة للمحبين المتبعين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد كان أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يسألون الله تعالى مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة ، لأنهم ذاقوا حلاوتها ، ونالوا كرامتها ، وشاهدوا أسرارها وأنوارها؛ في الدنيا ، فهم يريدونها على وجه دائم في كل العوالم . وهكذا شأن المؤمنين .

جاء في الحديث عن الصديقة الكبرى بنت الصديق الأكبر ، السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إنّك لأَحبُّ إليّ من نفسي ، وإنّك لأحبُّ إليّ من ولدي ، وإنِّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفتُ أنّك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين ، وإنّي إذا دخلت الجنة خَشِيْتُ أنْ لا أراك .

فلم يَرُدَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، حتى نزل جبريل الأمين عليه السلام بهذه الآية الكريمة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1] الآية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أَنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إِنِّي أحبك ، حتى إِنِّي أذكرك فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أَنّ نفسي تخرج ـ أي: ظننت أَنّ روحي تخرج من جسمي ـ وأذكر أَنِّي إن دخلتُ الجنة صِرتُ دُونك في المنزلة؛ فيشق عليَّ ، وأُحب أَنْ أكون معك .

فلم يَردَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، فأَنزل الله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتلاها عليه)[2] .

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، عن الشعبي : أَنّ رجلاً من الأنصار أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله والله لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي ، وولدي ، وأهلي ، ومالي ، ولولا أَنِّي آتي إليك فأراك لظننت أني سأموت ـ وبكىٰ الأنصاري ـ.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أبكاك»؟ .

قال: ذكرت أَنَّك ستموت ونموت ، فَتُرْفع مع النبيين ، ونحن إذا أُدْخِلْنا الجنة كنا دونك .

فلم يُخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء ، فأنزل الله

---

(١) قال في (الدر المنثور): رواه الطبراني ، وابن مردُوْيَه ، وأبو نعيم في (الحلية) ، والضياء المقدسي في (صفة الجنة) وحسنه. ا هـ.

(٢) رواه الطبراني وابن مردويه وغيرهم كما في (تفسير ابن كثير) ، و(الدر المنثور) وغيرهم.

تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «أبشر يا أبا فلان».

وروى عَبْد بِن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن مسروق قال: قال أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله: ما ينبغي لنا أَنْ نفارقك في الدنيا، فإنّك لو قَدْ مِتَّ رُفِعْتَ فوقنا، فلم نرك.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية.

وأخرج عَبْدُ بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة قال: ذُكر لنا أَنَّ رجالاً قالوا: هذا نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم نَراه في الدنيا، فأما في الآخرة فَيُرْفع بفضله فلا نراه.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الآية.

وروى ابن جرير، عن السُّدِّيِّ قال: قال ناس من الأنصار: يا رسول الله إذا أَدخلك الله الجنة، فكنت في أعلاها، ونحن نشتاق إليك فكيف نصنع؟.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية.

وهكذا الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يحرصون كل الحرص على مرافقتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع العوالم، ويَنبغي أَنْ يكون هذا شأن كل مؤمن.

جاء في الحديث، عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه

قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته ـ أي: بماء الوضوء وما يحتاجه من سواك ونحوه ـ.

فقال لي صلى الله عليه وآله وسلم: «سَلْ» ـ أي: اطلب ما تحتاجه في مقابلة خدمتك لي ـ.

فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَوْ غَيْرَ ذلك» ـ أي: تسأل غير ذلك ـ.

قال ربيعة: هو ذاك ـ أي: أسألك مرافقتك في الجنة، ولا أسأل غير ذلك ـ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم.

ورواه الطبراني في (الكبير) ولفظه:

قال ربيعة بن كعب رضي الله عنه: كنت أخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهاري، فإذا كان الليل أويتُ إلى بَابِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَبِتُّ عنده، فلا أَزَال أَسْمَعُه يقول: «سبحان الله، سبحان الله، سُبحان ربِّيْ» حتى أَمَلَّ، أو تغلبني عيني فأنام ـ أي: عند الباب ـ.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً: «يا ربيعة سلني فأعطيك».

فقلت: أنظرني حتى أنظر. وتذكَّرت أَنّ الدنيا فانية منقطعة.

فقلت: يا رسول الله أسألك أَنْ تدعو الله تعالى لي أَنْ يُنْجيني

من النار ، ويدخلني الجنة ـ أي : حتى أكون معك كما دلت الرواية السابقة ـ .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال : «مَنْ أمرك بهذا»؟ .

قلت : ما أمرني به أحد ، ولكن عَلِمت أَنّ الدنيا منقطعة فانية ، وأَنْت من الله تعالى بالمكان الذي أَنْت منه ، فأحببت أَنْ تدعو الله لي . قال : «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[1] .

وروى الإمام أحمد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أَنّه كان يدعو فيقول : (اللهم إنِّي أسألك نعيماً لا يَبِيْد ، وقُرَّةَ عين لا تنفد ، ومرافقة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى الجنة جَنَّة الخُلد) .

وقد جاءت البشارة من سيدنا رسول الله ﷺ لمن يحبه بأنه معه :

ففي الحديث الصحيح الذي جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الرجل يُحبُّ القوم ولمَّا يلحق بهم ـ أي : لم يعمل مثل عملهم ـ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «المرء مع من أحب» .

قال أنس رضي الله عنه : (فما فرح المسلمون بشيءٍ مثل فرحهم بهذا الحديث) .

قال أنس رضي الله عنه : (إنيِّ لأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم) . وفي رواية : (أن يبعثني معهم وإِنْ لَمْ أَعمل كعملهم) .

---

(١) انظر (ترغيب) المنذري .

تحيات الله تعالى بالسلام على أهل الجنة

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

أي: تحية الله تعالى للمؤمنين في الجنة، سلام دائم ومتواصل، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ أي: سلام قولاً صادراً من ربٍّ رَحِيْم، موجهاً إلى أهل الجنة، وذلك السلام دائم متواصل، كما ورد في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذْ سطع عليهم نُوْرٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ جل جلاله قد أشرف عليهم مِنْ فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. وهو قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

فلا يلتفتون إلى شَيءٍ مِمَّا هُم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركته ونوره» رواه ابن ماجه وغيره.

كما أَنّ الله تعالى يأمر الملائكة عليهم السلام أَنْ تُسَلِّم على أهل الجنة في منازلهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

روى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إنَّ المؤمن ليكون مُتَّكِئاً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سِماطَان ـ أي: صَفَّان ـ من خدم، وعند طَرَفِ السِّماطين باب مبوب.

فَيُقبل المَلَك ـ أي: ليسلم على المؤمن في قصره ـ فيستأذن.

فيقول أقصى الخدم للذي يليه: مَلَك يستأذن؛ حتى يبلغ المؤمن.

فيقول المؤمن: ائذنوا له.

فيقول أقربهم للمؤمن: ائذنوا له، ويقول ـ أي: الخادم ـ الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فَيَفْتَح له، فيدخل المَلَك فَيُسَلِّم عليه ـ أي: على المؤمن ـ ثم ينصرف)[1].

فما أعظم كرامة المؤمنين عند الله تعالى، وما أشرف منزلتهم؛ إنَّ رب العزة جل جلاله يسلم عليهم، وإنَّ ملائكة الله تعالى لَتُسَلِّم عليهم في قصورهم. اللهم اجعلنا منهم ـ آمين.

وإنَّما ذكرت جُملة من الفضائل التي يتفضل الله تعالى بها على المؤمنين، وما يكرمهم به يوم القيامة، ذلك ليعلم المؤمن فَضْل الإيمان الذي تفضل الله تعالى به عليه، ولِيَزْداد حُباً لله، وتقرباً إليه، ولينهض بهمته إلى الإكثار من عبادة الله تعالى، ويَبْذُل جهده في الأعمال الصالحة، والأقوال الطيبة.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

وفي ذلك بشائر للمؤمنين ليفرحوا بفضل الله عليهم، ورحمته بهم:

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

روى الإمام أحمد، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال

---

(١) وهذا الحديث موقوف له حكم المرفوع، لأنَّه لا مجال للرأي فيه، كما هو مقرر في علم الحديث.

لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أُمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا».

وفي رواية: قال لي: «إنّ الله أمرني أَنْ أَقْرأ عليك القرآن».

قال: فقرأ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: يا رسول الله وَقَدْ ذُكرت هناك؟ - أي: ذكرني الله تعالى عنده -.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم».

فقيل لأبي بن كعب رضي الله عنه: ففرحتَ بذلك؟.

فقال أُبَيٌّ رضي الله عنه: ومَا يمنعني، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وفي رواية الطبراني: قال أبي بن كعب رضي الله عنه: يا رسول الله وَذكرتُ هناك؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، ذُكرتَ باسمك ونسبك في الملأ الأعلى».

تجليات الله تعالى الرضوانية على أهل الجنة

قال الله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

اللهم اجعلنا منهم بفضلك وعافيتك، بجاه حبيبك الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - آمين.

ففي هذه الآية الكريمة يَذكر الله تعالى وَعْده للمؤمنين والمؤمنات ، بجنات تجري تحتها الأنهار ، وهم خالدون فيها ، وبالمساكن الطيبة في جنات عدن ، ثم بَيّنَ سبحانه فَضْل رضوانه على أهل الجنة فيقول: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والمعنى أَنّ رِضواناً يتجلَّىٰ الله تعالى به على أهل الجنة هو أكبر من جميع ما هنالك؛ من الجنات ، والأنهار ، والأشجار ، والمساكن الطيبة.

روى الشيخان ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة.

فيقولون: لبيك اللهم وسعديك ، والخير في يديك.

فيقول: هل رضيتم؟.

فيقولون: وَمَا لَنا لا نَرضىٰ يا ربَّنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟.

فيقول: ألا أُعطيكم أفضل من ذلك؟.

فيقولون: وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟.

فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

اللهم اجعلنا منهم بجاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ آمين.

وقال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ

رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

فبعدما ذكر سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ذكر بعد ذلك ما هو أكبر فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ فيما تفضل عليهم، ثم ذكر سبحانه أنّ ذلك الفضل العظيم لمن خشي ربّه، وهذا يدل على علو مقام الخشية من الله تعالى، وعلى عظيم كرامة أهل الخشية من الله تعالى.

والخشية من الله تعالى تكون على حسب علم المؤمن بالله تعالى، وصفاته، وكمالاته، وجلاله، وعظيم سلطانه، وعزة مقام ربوبيته سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

ولما كان أَعْلَمُ خلق الله تعالى بالله جل وعلا إنّما هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان هو أخشى خلق الله تعالى، صلى الله عليه وآله وسلم، كما أعلن ذلك حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أما والله إنِّي لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» الحديث كما في (الصحيحين).

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم فضل الخشية من الله تعالى:

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اقشعَرَّ جلد العبد من خشية الله تعالى تَحاتَّت عنه ذنوبه، كما يتحاتُّ عن الشجرة اليابسة ورقها».

قال الحافظ المنذري: رواه أبو الشيخ ابن حبان في (الثواب) والبيهقي واللفظ له.

قال: وفي رواية للبيهقي، عن سيدنا العباس رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة، فهاجت الريح، فوقع ما كان فيها من ورق نَخِرٍ، وبقي ما كان من ورق أخضر، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما مثل هذه الشجرة»؟.

فقال القوم: الله ورسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله عز وجل، وقعتْ عنه ذنوبه وبقيت له حسناته».

وروى الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

فالخشية من الله تعالى تَحطُّ الخطايا والذنوب، ويجب على المؤمن أن يخشى الله تعالى في السرِّ والعلانية، والخلوة والجلوة:

روى الطبراني، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:

«اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تُشقني بمعصيتك، وخِرْ لي في قضائك، وبارِكْ لي في قدرك؛ حتى لا أحب تعجيل ما أَخَّرْتَ، ولا تأخير ما عجلت، واجعل غناي في نفسي، وأمتعني بِسَمعي وبَصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني؛ وأَرِني فيه ثأري، وأقرَّ بذلك عيني» كذا في (الفتح الكبير).

تجليات الله تعالى بالرؤية على أهل الجنة

قال الله تعالى:

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

فَبَيَّنَ الله تعالى أَنَّ المؤمنين الذين أحسنوا عملهم مع الله تعالى بالعمل الصالح، والكلم الطيب؛ هؤلاء لهم الحسنى، جزاءً على إحسانهم في أعمالهم وأقوالهم، ولهم زيادة فضل كبير من الله تعالى فوق جزائهم على أعمالهم، بل هي زيادة فضل من لدنه سبحانه، وقد بَيَّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الزيادة بأنها رؤية الله تبارك وتعالى.

فعن صُهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟.

فيقولون: أَلَم تُبيِّض وُجُوهنا، أَلَم تدخلنا الجنة، وتُنجنا من النار»؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم ـ تبارك وتعالى ـ».

ثم تلا هذه الآية: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ رواه مسلم والترمذي والنسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر»؟. قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «هل تضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب»؟.

قالوا: لا.

قال: «فإنَّكم ترونه كذلك» الحديث بطوله في (الصحيحين).

وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

جاء في الحديث، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ أدنى أهل الجنة منزلةً لَمَنْ ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، وسرره: مسيرة ألف عام».

وفي رواية (المسند) «ألفي سنة. يرى أقصاه كما يرى أدناه».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وأكرمهم على الله تعالى: من ينظر إلى وجهه سبحانه غُدوةً وعشية».

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما كما في (الترغيب).

وقد تقدم الحديث، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربَّكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أنْ لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها؛ فافعلوا».

ثم قرأ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[1].

وها نحن ندعو الله تعالى الكريم الوهاب ، ذا الفضل العظيم ، بما دعا به العارف العاشق ابن الفارض رضي الله عنه:

فيا رب بالخِلِّ الحبيب محمد ﷺ رسولك وهو السيد المتواضع
أنلنا مع الأحباب رُؤيتك التي إليها قلوب الأولياء تُسارع
فبابك مقصود وفضلك زائدٌ وجودك موجود وعفوك واسع

الله تعالى يقرأ القرآن على أهل الجنة

روى الحكيم الترمذي ، عن بُريدة الأسلمي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين ، فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كلُّ امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه؛ على منابر الدر والياقوت ، والزمرد ، والذهب والفضة؛ بالأعمال ـ أي: بحسب أعمالهم تختلف مجالسهم ـ فلا تقرُّ أعينهم قط كما تقر بذلك ، ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ، ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ، وقرة أعينهم[2] ، ناعمين؛ إلى مثلها من الغد».

وقد روى السِّجْزي في (الإبانة) ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «كأنَّ الناس لم يسمعوا القرآن حين يتلوه الله تعالى عليهم في الجنة».

---

(١) قال في (تيسير الوصول): رواه الخمسة إلا النسائي.
(٢) قال العلامة المناوي: وقرة أعينهم ، أي: سرورهم ولذتهم بما هم فيه من النعيم المقيم. ا هـ.

وروى صاحب (الفردوس) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كأنَّ الخلق لم يسمعوا القرآن حين يسمعونه من الرحمن يتلوه عليهم يوم القيامة»[1].

قال العلامة المناوي: فإن قلت: إنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث: «يدخلون على الجبار كل يوم مرتين ، ويقرأ عليهم القرآن» إلى آخره ، قد يُعارضه ما جاء في الخبر: أنّهم إنَّما يدخلون عليه تعالى في كل أسبوع مرة يوم الجمعة.

قلت: قد يمكن الجواب بأن الدخول اليومي للجلوس هو بالحضرة وسماع القراءة ، مع وجود الحجاب عن النظر ، والدخول الأسبوعي هو للرؤية؛ فلا تعارض ، أو أنَّ ذلك ـ أي: رؤية الله تعالى والنظر إليه سبحانه ـ يختلف باختلاف الأشخاص والمقامات. ا هـ.

قال عبد الله: وهذا أقرب للصواب بدليل الحديث المتقدم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه الكريم غُدوة وعشية» الحديث كما تقدم.

أعدّ الله تعالى في الجنة لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

قال الله تعالى:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

---

(١) ذكره في (الجامع الصغير) رامزاً لضعفه لكن له شواهد ، انظر ذلك في (الفتح الكبير).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله عز وجل: أعددتُ لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» الآية رواه الشيخان.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً، وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» ثم قرأ هاتين الآيتين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(٢).

فجميع ما رأته الأعين من ألوان النعيم، وجميع ما سمعت به الآذان من أوصاف وأصناف النعيم، وجميع ما يخطر على قلب بشر، مما عظم وكبر من النعيم، فإنَّ في الجنة ما هو أعظم من ذلك وأكبر.

وقد أعدَّ الله تعالى ذلك لعباده الصالحين؛ يوم خلق الله تعالى الجنة.

---

(١) رواه مسلم كما في (الترغيب).

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني، والبزار بإسناد صحيح اهـ.

روى الإمام مسلم وغيره ، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنّ موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟.

فقال الله تعالى: هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له: أُدخل الجنة.

فيقول: ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟.

فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟.

فيقول: رضيت ربِّ.

فيقول له سبحانه: لك ذلك ومِثْله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله.

فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ.

فيقول سبحانه: هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهتْ نفسك ولذَّت عينك.

فيقول: ربِّ رضيت.

فقال ـ أي: موسى عليه السلام ـ: فأعلاهم منزلة؟.

قال سبحانه: أولئك الذين أردت ، غرستُ كرامتهم بيدي ـ سبحانه وتعالى جلّ وعلا ـ وختَمتُ عليها ، فلم تَرَ عَيْنٌ ، ولم تَسمع أُذُنٌ ، ولم يخطر على قلب بشر» رواه مسلم والترمذي كما في (التيسير).

اللهم اجعلنا منهم بفضلك وعافيتك ، وبجاه حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ آمين.

جاء في الحديث ، عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله

عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليك يا عائشة بالكوامل[1] قولي:

اللهم إنّي أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشَّرِّ كله عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم.

وأسألك الجنة وما قَرَّبَ إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل.

وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأسألك ما قضيتَ لي من أمر أَنْ تجعل عاقبته رَشَداً».

رواه الإمام أحمد في (مسنده) وهذا لفظه. ورواه ابن ماجه والبخاري ـ في (الأدب المفرد) ـ وللحديث عندهم روايات قد تختلف بعض ألفاظها.

وصلى الله العظيم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم ـ آمين.



---

(١) أي: الجوامع من الدعاء، كما جاء في رواية لأحمد: «عليك بالجوامع الكوامل» فذكر الحديث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم ، على سيدنامحمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وعلينا معهم أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين.

سورة الفلق :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ .

هي مدنية والتي تليها عند الجمهور.

هذه السورة الكريمة تضمّنت الاستعاذة من أمور أربعة :

التعوذ من شر المخلوقات التي لها شر؛ تعوذاً من جميع الشرور.

التعوذ من شر غاسق إذا وقب.

التعوذ من شر النفاثات في العقد.

التعوذ من شر حاسد إذاحسد.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾

كلمة: ﴿أَعُوذُ﴾ تدل على ثلاث معان: ألتجىء، وأعتصم، وأتحرَّز.

فالتعوذ بالله يتضمن معنى الالتجاء، والاعتصام، والتحرز.

وسبب **التعوذ** هوالهروب من شيء يخافه الإنسان من المكاره والمساوىء، والشرور؛ حالاً ومَآلاً، فهو يفرُّ ويهرب من ذلك إلى ملجأ يعصمه ويُحرزه من ذلك.

وهذا هو الله تعالى رَبُّ الفلق ـ أي: الخَلْق ـ والفَلَق بمعنى المفعول كالقَبَض بمعنى المقبوض، والفليقة هي: الخليقة.

قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ الآية.

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ وأَنْ يأتي بقل، لأنه أُوحي إليه ذلك، وأُمر أن يقرأ ذلك، ويأمر الناس بتلاوته كذلك، كما ورد ذلك في الحديث، وفي ذلك دليل قاطع على أن هذا القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يتلوه على الوجه الذي أوحاه إليه دون تصرف من عنده، وأن هذا القرآن الكريم ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ أحداً من الناس لا يقول لنفسه: قل، وإنّما هو كلام الله تعالى، أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو يتلوه كما أُنزل عليه، ويتَّبع ما أوحاه الله تعالى إليه، كما قال الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

أي: من شر كل مخلوق فيه شر، فهذا تعوذ عام من كل شرٍّ يتأتى من مخلوق، سواء كان إنسيًّا أو جنياً، أو حيواناً، أو دابة، أو هامَّة، أو صاعقة، وهوأيضاً تعوذ من جميع البلاء، ومن جميع شرور المخلوقات التي فيها شر، ويدخل في ذلك شرور الدنيا والآخرة، وشر الشياطين، وسائر الأرواح الخبيثة؛ وما وراء ذلك.

وليس المراد من قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ليس المراد من ذلك التعوذ من شر كلِّ خلق الله تعالى ـ أي: جميع مخلوقات الله تعالى ـ فإنَّ هناك مخلوقات لله تعالى لا يتأتى منها إلا الخير، ولا يتأتى منها الشر.

فالجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة عليهم السلام لا يتأتى منهم الشر.

وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتأتى منهم شر، فإنّهم خير محض، والخير كله حاصل على أيديهم، فإنّهم هم مصادر الخير والبرِّ، والبركات والأسرار والأنوار، جاؤوا يَدُلُّون الناس على كل خير، ويحذِّرونهم من كل شر.

ويلتحق بذلك أصحاب النفوس الطيبة الطاهرة الزكية، الراضية المرضية المطمئنة، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾. فهؤلاء طيبون أخيار وأطهار.

اللهم اجعلنا منهم بفضلك يا ذا الفضل العظيم، فإنك قلتَ:

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ وها نحن سألناك كما أمرتنا ، فاستجب لنا كما وعدتنا ، إنّك لا تخلف الميعاد.

قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

قد كثرت أقوال المفسرين حول هذه الآية الكريمة ، والقول الذي يتعيّن الرجوع إليه ، ويجب المصير إليه ، هو ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي ، فأراني القمر حين طلع وقال: «تعوّذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من (سننهما) وقال الترمذي: حسن صحيح[١].

فهذا الحديث هو بيان للآية الكريمة ، وتفسير لها ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾.

وكأنَّ هذا الحديث الكريم يُشير -والله أعلم- إلى الأحوال الثلاثة التي تعتري القمر ، وما يحدث في تلك الأحوال.

أولاً: حال خسوفه ، وحدوث الظلمة على إثر ذلك الخسوف.

ثانياً: حال محاقه أواخر الشهر ، واستحكام ظلمة الليل في ليالي محاقه.

ثالثاً: حال غيابه بعد غروبه ، وبقاء الليل بعد غروبه ، واستحكام ظلام الليل بعد غروبه.

---

(١) انظر (تفسير ابن كثير) ، والرواية هنا للإمام أحمد.

فهي ظلمات ثلاث ، تحدث بعد النور ، وإنّ الشياطين ، والأرواح الخبيثة ، حتى النفوس الساحرة لتفتك وَتُفْسد في الظلمات ما لا تستطيعه في النور ، وإنّ الظُّلمة بعد النور يستعاذ من الشرور التي تقع فيها من جانب الشياطين ، والأرواح الخبيثة ، حتى الهوامّ والحشرات الأرضية ، والحيوانات المؤذية ، فإنها تنتشر في الظلمات ، وتُفسد وتؤذي أشدَّ من إفسادها وأذاها حالة النور.

ويدل على ذلك ما جاء في الحديث ، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان جنح[1] الليل ، فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشياطين تَنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم ، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله ، فإنّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأوكئوا قربكم» ـ وفي رواية: «سقاءكم واذكروا اسم الله تعالى» ـ «وخَمِّروا ـ غطُّوا ـ آنيتكم واذكروا اسم الله ، ولَو أَنْ تعرضوا عليه شيئاً ، وأطفئوا مصباحكم» هذه رواية (الجامع الصغير) وعزاه إلى الشيخين والإمام أحمد وغيرهم.

وقد أورده في (تيسير الوصول) بروايته ، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا استجنح الليل ـ أو «كان جنح الليل» ـ فكفُّوا صبانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلُّوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله ، وأَوْكِ سقاءك واذكر

---

(١) أي: إذا غربت الشمس وأقبل الليل بظلامه.

اسم الله ، وخَمِّر[١] إناءَك واذكر اسم الله؛ ولو أَنْ تعرض عليه شيئاً ، فإنَّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً[٢] ، وأطفئوا المصابيح فإنّ الفويسقة ربما جرَّت الفتيلة فأحرقتْ أهل البيت»[٣].

قال في (التيسير): أخرجه الستة إلا النسائي.

قال العلامة المناوي: «جُنْح الليل» بضم الجيم وكسرها أي أقبل بظلامه ، قال الطيبي: «جنح الليل» طائفة من الليل ، وأراد به هنا الطائفة الأولى منه ، عند امتداد فحمة العشاء ا هـ أي: عند إقبال ظلمة الليل.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث جمل من أنواع الخير ، وآداب جامعة: تسمية الله تعالى في كل فعل ، وحركة ، وسكون ، لتحصل السلامة من آفات الدارين. ا هـ.

ونقل العلامة المناوي عن الإمام القرطبي أنه قال: تضمن هذا الحديث أنَّ الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ما يكون في هذه الأوقات من المضارِّ من جهة الشيطان ، وقد أرشد إلى ما يُتقى به ذلك.

فليبادر الإنسان إلى فعل تلك الأمور ، ذاكراً اسم الله تعالى ، ممتثلاً أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، شاكراً لنعمه ، فمن فعل ذلك لم يُصبه من ذلك ضرر بحول الله وقوته. ا هـ.

وقد ذكروا أنّ شدة السِّحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون

---

(١) أي: اجعل عليه غطاء ولو بسيطاً ، فإن اسم الله تعالى هو يحفظه.

(٢) أي: لا يفتح باباً مغلقاً ذُكر عليه اسم الله تعالى.

(٣) هذا بالنسبة للمصباح الذي له فتيلة ، فربما جرّت الفأرة أو نحوها الفتيلة فأحرقت البيت.

النهار ، فالسحر الليلي عند السحرة هو السحر القوي ، ولهذا كانت القلوب المظلمة هي مجال الشياطين ، وبيوتهم ومرتعهم ، وإن الشياطين لتجول فيها ، وتتحكم بصاحب القلب المظلم ، كما يتحكم ساكن البيت في البيت ، وكلّما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع ـ والعياذ بالله تعالى.

ولا يُخرج الظلمة من القلب إلّا الإيمان بالله تعالى ، والعمل الصالح المقرب إلى الله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقال الله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾.

وقال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ ـ أي : بالإيمان ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقد ضرب الله تعالى مثل إيمان المؤمن في قلبه فقال سبحانه :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ ـ أي : في قلب عبده المؤمن ـ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقد فصلت الكلام على هذه الآية في كثير من كتبي فارجع إليها.

روى الإمام أحمد بإسناده الجيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يُزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح.

فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ـ أي: نور الإيمان ـ.

وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر.

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق ، عَرَف ثم أنكر.

وأما القلب المصفح: فقلب فيه إيمان ونفاق.

ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدُّها الماء الطيب.

ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح ، فأيُّ المدتين ـ أي: المادتين ـ غلبت على الأخرى غلبت عليه» أي: على القلب[1].

قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾

في هذه الآية الكريمة تعوذ من شر النفوس الساحرة ، اللاتي يعقدن عقداً في خيوط ، وينفثن عليها ، فالنفاثات وصف للنفوس

---

(١) ١ ـ القلب الأجرد هو الذي ليس فيه غِلٌّ ولا غش ، فهو على أصل الفطرة ، فنور الإيمان فيه يزهر.
٢ ـ القلب الأغلف هو الذي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله.
٣ ـ المنكوس: هو القلب المقلوب.
٤ ـ المصفح: هو الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه ، وأهل الإيمان بوجه ـ كما في (النهاية).

الساحرة ، سواء كان أصحابها ذكوراً أو إناثاً ، فتشمل الساحرين والساحرات .

والنفث عند أكثر العلماء هو النفخ مع شيء من الريق ، فإنّهم إذا سحروا استعانوا على تأثير فعلهم بتكيُّف نفوسهم بالخُبث والشر الذي يريدونه بالمسحور ، ويستعينون على ذلك بالأرواح الخبيثة ، ثم ينفثون في العُقد نَفْثاً ممزوجاً بالشر والأذى ـ نعوذ بالله العظيم من ذلك .

وقد بين الله تعالى أنَّ للسحر تأثيراً في ضرر المسحور ، ولكن السحرة ما هم بضارِّين بسحرهم أحداً إلَّا بإذن الله تعالى .

قال الله تعالى ـ في اليهود ـ :

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية .

فأثبت الله تعالى أنّ للسحر تأثيراً ، حتى في التفريق بين المرء وزوجه؛ إلى غير ذلك . ولكن الكلّ بإذن الله تعالى وقدرته .

والسحر يعتبر في الشرع من الكبائر الموبقة المهلكة ، وَمَنِ استحله فقد كفر .

جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «اجتنبوا السبع الموبقات» .

قالوا : يا رسول الله وما هنَّ؟ .

قال : «الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا

بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتَّولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» متفق عليه.

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من تَطَيَّر أوتُطيِّر له ، أوتَـكَهَّن أو تُـكُهِّن له ، أو سَحَر أو سُحر له ، ومن أتى كاهناً فَصَدَّقَه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

والأصل في ذلك أنَّهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا فعل أمر يأتي أحدهم إلى طائر فيطيره ، فإنْ طار يميناً استبشر خيراً وفعل الأمر ، وإن طار شمالاً تشاءم وترك الأمر ، فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الجهالات ، وأرشد إلى دعاء الاستخارة كما ذكرت ذلك في كتاب (الدعاء).

فالساحر والذي يأتيـه ليسحر الناس كلُّ ذلـك من الكبائـر المهلكة ، واستحلال ذلك كفر.

قال الحافظ المنذري في (الترهيب):

روى ابن حبان في (صحيحه) حديث أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ، في كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كتبه إلى أهل اليمن ، في الفرائض والسنن والدِّيَات والزكاة ، فذكر فيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنَّ أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم» الحديث.

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد ، فالتطير ـ أي: التشاؤم ـ حرام.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى كاهناً فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

قال الحافظ المنذري: رواه البزار بإسناد جيد قوي.

وقال: الكاهن هو الذي يُخبر عن بعض المضمرات، فيصيب بعضها، ويخطىء أكثرها، ويزعم أنّ الجن تخبره بذلك. اهـ.

وعن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً»[1] رواه مسلم.

فينبغي للمؤمن أن يتحصن من المؤذيات والأضرار، بالإكثار من قراءة المعوذات، وفيها التعوذ من شر النفاثات في العقد، وفيها التعوذ من جميع شرور المخلوقات التي لها شر، وكفى بكلام الله تعالى حِصناً حصيناً، وحرزاً منيعاً.

وأضف إلى ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التعاويذ النبوية، فإنّ لها قوة وتأثيراً، وإنَّها تعاويذ مَنْ لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم. فافهم.

وروى الطبراني، عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (اللهم إنّي أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض؛ أَنْ تجعلني في حِرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك).

---

(١) قال المنذري: العرَّاف: بفتح العين المهملة وتشديد الراء كالكاهن، وقيل: هو الساحر. اهـ.

قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

قَرَنَ الله تعالى بين التعوذ من الساحر، والتعوذ من الحاسد لعظيم خطرهما، وشِدَّة ضررهما، ولكثرة وقوعهما بين الناس.

والحسد هو حرام، ويُعَدُّ من الكبائر، وهو: تمني زوال النعمة عن المحسود وصيرورتها إليه، وهذا قبيح وحرام، وأقبح منه تمني زوال النعمة عن المحسود ولو لم تصر إلى الحاسد، فهو يتمنى هلاك تلك النعمة؛ وهذا أقبح من الأول.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عن الحسد، وحذَّرهم منه، وبيَّن أنّ صفة الحسد لها ضرر على دين المسلم، وعلى أعماله التعبدية، وعلى حسناته، وجاء ذلك التحذير على وجوه:

أولاً: النهي عن التحاسد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إياكم والظنَّ؛ فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا، ـ وأشار إلى صدره صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحسب امرىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله».

قال الحافظ المنذري: رواه مالك والبخاري ومسلم واللفظ له.

وروى الترمذي وأحمد ، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء وهي الحالقة ، أما إني لا أقول تحلق الشعر؛ ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، ألا أدلكم على ما تحابُّون به: أفشوا السلام بينكم».

ثانياً: ضرر الحسد على إيمان الحاسد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يجتمع في جوف عبدٍ مؤمن: غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد: الإيمان والحسد».

قال في (الترهيب): رواه ابن حبان في (صحيحه) ومن طريقه البيهقي.

ثالثاً: ضرر الحسد على حسنات الحاسد وقرباته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب».

قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود ، والبيهقي ، ورواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما ، من حديث أنس رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يُطفيء الماء النار ، والصلاة نور المؤمن ، والصيام جُنَّة ـ أي: وقاية ـ من النار».

رابعاً: التحاسد بين المسلمين يفتح عليهم أبواب الشر والفساد:

عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا» رواه الطبراني ورواته ثقات.

خامساً: بَرِيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذي حسد:

عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «ليس مني ذو حسد، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ رواه الطبراني.

سادساً: الحاسد لا ينال رتبة الولاية ولا مقام المقربين:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله: أيُّ الناس أفضل؟.

قال: «كلُّ مخموم القلب، صدوق اللسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟.

قال: «هو التَّقي النَّقيُّ، لا إثم فيه، ولا بَغي، ولا غِلَّ ولا حسد» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي وغيره.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ بُدَلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة؛ ولكن دخولها برحمة الله تعالى، وسخاوة الأنفس، وسلامة الصدور» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) مرسلاً.

سابعاً: من علامات أهل الجنة سلامة نفوسهم من الغشّ والحسد:

عن أنس رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة».

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته مِن وضوئه، قد علّق نعليه بيده الشمال.

فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك؛ فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول.

فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تبعه عبد الله بن عمرو ـ أي: تبع ذلك الرجل المبشَّر بالجنة ـ فقال له عبد الله: إني لاحيتُ ـ أي: جادلت وخاصمت ـ أبي، فأقسمتُ أنْ لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيتَ أن تُؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟.

قال: نعم ـ أي: يبيت عنده ثلاث ليال ـ.

قال أنس رضي الله عنه: فكان عبد الله يُحدث أنّه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنَّه إذا تعارَّ ـ أي: استيقظ ـ تقلب على فراشه: ذكر الله عز وجل وكَبَّرَ حتى لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لَم أسمعه يقول إلّا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدتُ أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من

أهل الجنة» فطلعتَ أنت الثلاث المرات ، فأردتُ أن آوي إليك ، فأنظر ما عملك فأقتدي بك ، فلم أرك عملتَ كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ .

فقال: ما هو إلا ما رأيتَ.

قال عبد الله: فلما ولَّيتُ ، دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيتَ ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشّاً ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله تعالى إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك ـ أي: أدخلتك الجنة ـ.

قال الحافظ المنذري: رواه الإمام أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي ، ثم قال: ورواه البيهقي أيضاً ، عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: (كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ليطلعنَّ عليكم رجل من هذا الباب من أهل الجنة».

فجاء سعد بن مالك فدخل منه) قال البيهقي: فذكر الحديث:

قال: فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ما أنا أنتهي حتى أُبايتَ هذا ـ أي: أبيتُ مع هذا ـ الرجل فأنظر عمله.

قال: فذكر الحديث في دخوله عليه قال: فناولني عباءة فاضطجعت عليها قريباً منه ، وجعلتُ أرقبه ـ يعني ليلَه ـ كلَّما تعارَّ ـ استيقظ أثناء نومه ـ سبَّح وكَبَّرَ وهلَّل ، وحمد الله تعالى ، حتى إذا كان في وجه السَّحَر قام فتوضأ ثم دخل المسجد ، فصلىٰ اثنتي عشرةَ ركعة باثنتي عشرة سورةً من المفصَّل ، ليس من طواله ، ولا من قصاره ، يدعو في كل ركعتين بعد التشهد بثلاث دعوات يقول:

اللهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

اللهم اكفنا ما أهمَّنا من أمر آخرتنا ودنيانا.

اللهم إني أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله.

حتى إذا فرغ قال: فذكر الحديث واستقلاله عمله ، وعوده إليه ثلاثاً إلى أن قال: فقال: ـ أي: سعد ـ آخذ مضجعي وليس في قلبي غِمْر على أحد ـ والغِمر: بكسر الغين المعجمة وسكون الميم هو الحقد ـ.

فسلامة القلب من الحسد والغش والحقد هي من علامات أهل الجنة ، وهي من الصفات المقربة إلى الله تعالى ، وصاحب القلب السليم هو من المفلحين ، الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

فعن أبي ذر رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قد أفلح من أخلَص قلبَه للإيمان ، وجُعل قلبه سليماً ، ولسانه صدوقاً ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة» الحديث رواه الإمام أحمد والبيهقي.

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ . اللهم اجعلنا منهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .

فهذا الحسد الذي أمر الله تعالى بالاستعاذة منه ، وهو تمني الحاسد زوال نعمة الله تعالى عن ذلك المحسود المُنْعَم عليه ، سواء تمنى أنْ تصير النعمة ـ التي عند المحسود ـ إليه أوْ لا ؛ فهذا كله مذموم شرعاً ، وهو من المحرمات الكبيرة ، قال تعالى: ﴿ أَمْ

﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية.

ففي هذا الحسد اعتراض على الله تعالى في عطائه وقضائه، ولسان حال الحاسد يقول: إن الله تعالى أنعم على من لا يستحق - ونعوذ بالله تعالى - فهو ساخط غير راضٍ عن الله تعالى، ولا على المنعَم عليهم من عباد الله تعالى.

وأما **حسد الغبطة** وهو: أن تتمنى أن يُعطيك الله تعالى مثل ما أعطى ذلك الرجل المنعم عليه، مع بقاء تلك النعمة عليه، فهذا يُسمى: بحسد الغبطة، ويسمى الغبطة؛ فهذا غير مذموم.

وحقيقة الغبطة: أن تتمنى أنْ يكون لك مثل ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة، مع بقاء الخير والنعمة عليه، وهذا مباح في المباحات الشرعية، ومحبوب ومرغوب في العبادات والتقربات، وفعل الخيرات، وفي جميع ما يُرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وأرشد إليه:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حسد - أي: لا حسد غبطة - إلاَّ في اثنتين:

رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها، **ورجل** آتاه الله مالاً فَسَلَّطه على هلكته في الحق» أخرجه الشيخان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا حسد إلاّ في اثنتين: **رجل** آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، **ورجل** أعطاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» أخرجه الشيخان والترمذي.

فالمراد بالحسد في هذين الحديثين حسد الغبطة، وقد ترجم

البخاري على ذلك بقوله: باب الاغتباط في العلم والحكمة. ا هـ.

واعلم أنَّ من تمنى أنْ يعطيه الله تعالى من النعم التي تُقَرِّب إلى الله تعالى، وترضيه، كما أنعم على بعض عباده المؤمنين، ونوى نيةً صادقة أن لو كان عنده مثل ما عند أخيه المسلم من النعمة، التي ينفع بها عباد الله تعالى، ويتقرب بها إلى الله تعالى؛ إذا صدق بنيته حقاً، ولم يحصل على ذلك؛ فإن الله تعالى يؤتيه مثل أجر ذلك المغبوط تماماً، كما جاء في الحديث عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ثلاث أُقسم عليهنَّ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه».

قال: «ما نقص مال من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها إلّا زاده الله بها عزّاً، ولا فتح عبد باب مسألة[1] إلّا فتح الله عليه باب فقر». أو قال: «وما تواضع عبد لله تعالى إلّا رفعه الله تعالى. وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»:

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّما الدنيا لأربعة نَفَر:

عبد رزقه الله تعالى مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه، ويَعلم أنّ لله فيه حقاً. فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أنّ لي مالاً لعملتُ بعمل فلان» ـ أي: أتصدق مثله وأعمل الخيرات والمبرّات مثله ـ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فهو بنيته وأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير

---

(١) أي: يسأل الناس مالاً من غير ضرورة إلى ذلك.

علم: لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً. فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان» - أي: مثل الذي يخبط في ماله، ويصرفه في طرق المحرمات، ولا يؤدي حقوقه الشرعية.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فهو بنيته ووزرهما سواء».

رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

ومن ذلك الحديث يعلم المسلم تأثير النية الصادقة في الخير والشرِّ، والثواب والعقاب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إنَّ أقواماً خَلْفنا بالمدينة، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلاَّ وهم معنا، حبسهم العذر»[1].

قال الحافظ المنذري: رواه البخاري، وأبو داود ولفظه:

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لقد تركْتُم بالمدينة أقواماً، ما سرتُم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلاَّ وهم معكم».

قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟!!.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «حبسهم المرض».

أي: فلهم الثواب معكم جملةً وتفصيلاً؛ بنياتهم الصادقة

---

(١) أي: منعهم عن الذهاب إلى غزوة تبوك عذرهم: بمرض أو تمريض، وقيام بشأن المريض ونحو ذلك، فلهم الثواب بنياتهم، ولولا العذر لخرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الجازمة ، بحيث لولا العذر يمنعهم من الخروج لخرجوا معكم.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل ، فغلبته عيناه حتى أصبح كُتِبَ له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه» قال الحافظ المنذري: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد جيد ، ورواه ابن حبان في (صحيحه). ا هـ.

قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

يدخل تحت هذا التعوذ من عين العائن ، فإنه قد يؤذي بنظره بعين حسده أذىً فاحشاً؛ ما لم يكن هناك تعوذ أو تحصُّن بالله تعالى ، وفي الحديث الصحيح كما سيأتي ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يعوِّذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامَّة ، من كل شيطان وهامَّة ، ومِنْ كل عين لامَّة».

وإنّما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن ، لأن الحاسد أعمُّ ، فكل عائن حاسد ، وليس كل حاسد عائناً ، فإذا استعاذ الإنسان من شر الحاسد دخل في تعوذ العائن أيضاً.

والعين اللامَّة هي المصيبة بالأذى للمنظور إليه.

قال العلماء: العائن والحاسد يشتركان في أنَّ كلاً منهما تتكيَّف نفسه وتتوجَّه نحو مَنْ تريد أذاه.

غير أن العائن تتكيف نفسه بالأذى؛ عند مقابلة العين والمعاينة ، وأما الحاسد فيحصل حسده في حال الغَيْبة عن المحسود؛ وفي حال الحضور.

وأيضاً فإنّ العائن قد يعين مَنْ لا يُحسَد ، فإنه قد يؤذي بعينه مالاً أو حيواناً ، أو زرعاً ، أو نحو ذلك ، وإن كان لا ينفك من حسد صاحبه.

قال العلامة القرطبي في (تفسيره): واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبرِّك ، فإنَّه إذا دعى بالبركة ـ أي: للمنظور ـ صُرِف المحذور لا محالة ، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام لعامر: «ألا بَرَّكْت» ـ أي: بَرَّكْت على المنظور ـ كما سيأتي حديثه.

قال القرطبي: فدلَّ هذا الحديث: على أنَّ العين لا تضرُّ ، ولا تعدو ـ أي: لا يتعدى أذاها ـ إذا برَّك العائن ، وأنها إنَّما تعدو ـ أي: تؤذي ـ إذا لم يبرِّك.

قال: والتبريك أن يقول العائن: تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه. اهـ.

ويقول أيضاً: بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلّا بالله.

وقد أجمع أهل السنة على أنَّ العين حقٌّ ، ولها تأثير في الواقع ، دلَّ على ذلك الكتاب والسنة:

أما الكتاب: فقد قال الله تعالى مخبراً عن وصية يعقوب عليه السلام لأولاده ـ توقياً من شر عين الناظر إليهم ـ:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وبيان ذلك: أنه لما عزم أولاد يعقوب عليه السلام على الخروج إلى مصر ، خشي عليهم العين ، فأمرهم أن لا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم

العين لكونهم أحد عشر رجلاً ، أولاد رجل واحد ، وهو يعقوب عليهم السلام ، وهم إخوة يوسف عليهم السلام ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطةٍ[1] ، فأمرهم أن لا يدخلوا من باب واحد تحرزاً من العين ، مع التوكل على الله تعالى. فإنّ الأمر كلّه بيد الله تعالى.

وفي هذا دليل: على الأخذ بالسبب في الأمور مع التوكل على الله تعالى ، فإنَّ الأسباب هي أسباب ما لها تأثير من ذاتها ، وإنّما الفعَّال المؤثر هو الله تعالى وحده ، وفي ذلك دليل على أنّ العين حقٌّ ، ولا تأثير لها إلاَّ بإذن الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ الآية.

فكان الكفَّار ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر حاسد ، شديد العداوة والبغضاء ، فهو نظر يكاد يُزلقه صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي: يلقيه على الأرض ـ ولكنَّ الله تعالى حَفِظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعصمه ، وكفَّ شرَّهم عنه ، فإنَّ رسول الله تعالى محفوظ بحفظ الذي أرسله وهوالله جل وعلا.

وفي هذا دليل تأثير عين الحاسد الحاقد المبغض.

كما أنّ العين قد تُؤثر بسبب شدة إعجاب الناظر ، وقوّة استعظامه واستحسانه للمنظور إليه. كما سيتضح لك.

وأما الأحاديث النبوية الدالة على تأثير العين:

فقد روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) انظر تفسير القرطبي رحمه الله تعالى.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العينُ حقٌّ» أي: لها تأثير واقع.

وروى مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقتْه العين، وإذا استُغسلتم فاغتسلوا».

ففي هذا الحديث دليل على تأثير عين العائن، وفيه إرشاد إلى معالجة المصاب بالعين، وذلك بأن يغتسل العائن، ثم يُصبُّ ماء غسله، فيغسل المعين - أي: المصاب بالعين - فيبرأ بإذن الله تعالى.

روى الإمام مالك وغيره، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنَّه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهلٌ رضي الله عنه بالخرَّار - موضع قرب الجحفة - فنزع جبةً كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر إليه - وكان سهل شديد البياض، حسن الجلد -.

فقال عامر: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبَّأة عذراء[1].

فَوُعِكَ سهل مكانه، فاشتدَّ وعكه، فَأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل له: ما يَرفع سهل رأسه - أي: من شدة وعكه - وكان سهل قد اكتتب في جيش.

فقالوا: هو غير رائح معك يا رسول الله، والله ما يرفع رأسه - أي: من وجعه -.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تتهمون به أحداً».

فقالوا: عامر بن ربيعة.

---

(١) المخبأة الشابة المستترة في خدرها، والعذراء هي البكر.

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتغيَّظ عليه ، وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «عَلامَ يقتل أحدكم أخاهُ ، هلاَّ بَرَّكْتَ» ـ أي: هلا دعوتَ الله له بالبركة ـ.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعامر بن ربيعة: «اغتسل له».

فغسل عامر وجهه ويديه ، ومرفقيه ، وأطراف رجليه ، وداخل إزاره في قدح ـ أي: إناء كبير ـ ثم صَبَّ ذلك الماء على سهلٍ رجل من وَرائه. فبرأ سهل من ساعته.

فهذا خير علاج للمصاب بالعين.

وقد ورد أيضاً العلاج بماء وضوء العائن:

فعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (كان يُؤمر العائن أن يتوضأ ، ثم يصب منه على المَعِيْن) رواه أبو داود[1].

هذا إذا عُرف العائن ، ولكن إذا لم يُعرف فهناك التعاويذ الواردة ، وأعظمها وأقواها تأثيراً للحفظ من تأثير عين العائن ، ولعلاج المصاب بالعين ، أعظم التعاويذ وأقواها هي الإكثار من قراءة المعوِّذات ، وهي علاج من جميع العاهات والمصائب والأوجاع.

روى الترمذي وغيره ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعوَّذ من الجانِّ ، ومن عين الإنسان ، فلما نزلت المعوِّذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما).

ويضيف إلى المعوذتين سورة الإخلاص ، كما ورد في الأحاديث المتقدِّمة.

---

(١) انظر جميع ذلك في (تيسيرالوصول).

وروى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إنَّ أباكم كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحق: أُعِيذُكُما بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامَّة».

وروى مسلم والترمذي، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا محمد اشتكيت».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم».

فقال جبريل عليه السلام: «بسم الله أرقيك، من كل داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نَفْس أوْ عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

وعن عثمان بن أبي العاصي رضي الله عنه: (أنّه اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «ضعْ يدك على الذي تألّم من جسدك، وقل: بسم الله؛ ثلاث مرات، وقلْ سبع مرات: أعوذ بعزَّة الله وقدرته، من شرِّ ما أجد وأحاذِر».

قال: ففعلت ذلك مِراراً، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر آهل بيتي وغيرهم بذلك) رواه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي[1].

وروى الدارمي والبيهقي بسند رجاله ثقات، عن عبد الملك بن عمير أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاتحة الكتاب شفاء من كلِّ داء».

---

(١) انظر (تيسير الوصول)، وفي بعض الروايات: «أعوذ بالله وقدرته».

وروى الشيخان وأصحاب (السنن) ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سريّة ثلاثين راكباً ، فنزلنا بقوم من العرب فسألناهم أن يُضيفونا فأبوا ، فلُدغ سيدهم ـ أي: لدغته العقرب ـ فقالوا: فيكم أحد يرقي من العقرب؟ .

قال أبو سعيد رضي الله عنه: فقلت أنا ، ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئاً. فقالوا: نعطيكم ثلاثين شاة.

قال أبو سعيد: فقرأتُ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ـ أي: سورة الفاتحة ـ سبع مرات ـ وفي رواية: ثلاث مرات ، وفي رواية مرة واحدة ـ فبرأ.

فلما قبضنا الغنم عَرَض في أنفسنا منها ـ أي: هل تحل لنا أم لا تحل ـ فكففنا[1] حتى أتينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فذكرنا له ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أما علمتَ أنها رقية ، اقسموها ـ أي: الغنم ـ واضربوا لي معكم بسهم» .

وروى الإمام أحمد ، والبيهقي في (الشعب) بسند جيد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «ألا أخبرك بخير سورة نزلت في القرآن»؟ .

قلت: بلى يا رسول الله .

قال: «فاتحة الكتاب» وأحسبه قال: «فيها شفاء من كل داء» .

* * *

---

(١) أي: لم نذبح ونأكل منها .

بعض خصائص قرآنية

١ ـ لتفريج الكرب:

عن إسماعيل بن أبي فُدَيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما كربني أمرٌ إلا تمثّل لي جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل: توكلتُ على الحيِّ الذي لا يموت، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾»[1].

٢ ـ للبراءة من الشرك والثبات على التوحيد:

عن نوفل بن معاوية الأشجعي أنه قال: يا رسول الله عَلِّمْني ما أقول إذا أويتُ إلي فراشي.

قال: «اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نَمْ على خاتمتها، فإنَّها بَراءة من الشرك»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في (الأسماء والصفات) كما في (الدر المنثور)، وجاء في بعض الروايات: «تُقرأ سبع مرات».

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن، وللحديث طرق كثيرة كما في (الدر المنثور) وغيره.

٣ ـ لقضاء الحوائج وتيسير الأمور:

روى الدارمي في (سننه) عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ يس في صدر النهار ـ أي: أول النهار ـ قُضيت حوائجه».

ثم أسند الدارمي إلى شهر بن حوشب قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من قرأ يس حين يصبح أعطي يُسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلة أعطي يُسر ليلته حتى يصبح).

٤ ـ لوفاء الديون:

أخرج الطبراني في (الصغير) بسند جيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ: «ألا أعلمك دعاءً تدعو به، لو كان عليك مثلَ جبل أُحد ديناً لأداه الله تعالى عنك؟

قل يا معاذ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما، وتمنع منهما من تشاء، ارحمني رحمةً تغنني بها عن رحمة مَنْ سواك».

وجاء في رواية أخرى للطبراني، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر معاذ بن جبل أن يقرأ لوفاء دينه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ والآية بعدها إلى قوله تعالى ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ ثُم يقول: «رحمنَ الدنيا والآخرة» إلى تمام الحديث كما في (الدر المنثور) وغيره.

٥ ـ قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

روى الحاكم وصححه، والبيهقي، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».

وفي رواية للحاكم والبيهقي والضياء: «كانت له نوراً من مقامه إلى مكة».

وروى البيهقي، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت: كانت له نوراً يوم القيامة».

ولا تعارض بين هذه الروايات فكلها واقع وحق وحقيقة.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ والسورة التي تليها وفضلهما:

روى مسلم في (صحيحه) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم تَر آيات أنزلت في هذه الليلة، لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

ورواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) انظر (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

الكلام حول سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

في هذه السورة الكريمة يأمر الله تعالى بالتعوذ من شرٍّ عظيم وخَطَرٍ جسيم ، وهو شر الوسواس الخناس.

ويعلِّم الله تعالى عباده صيغة التعوذ من ذلك الشر ، وضرره وتأثيره ، وذلك بأن يتعوذوا بالله تعالى رَبِّ الناس ملك النَّاس إلَه الناس.

فذكر سبحانه ربوبيته لهم، وملكه إيّاهم، وألوهِيَّتِهِ الحقة، فإنه سبحانه هو ربُّهم، ولا يمكنهم إنكار ذلك، فإنه خالقهم، ورازقهم ومدبر أمورهم ، ومتولِّي تربيتهم ، وهو المنعم عليهم بجميع ما يحتاجون إليه ، وما يتوقف عليه وجودهم ، وحياتهم ، فيمدهم بالهواء ، والغذاء ، والطعام ، والماء ، ويمدهم بقوى أسماعهم وأبصارهم ، وعقولهم ، ومداركهم ، وحواسِّهم ، وفي جميع ذرَّاتهم وذواتهم ، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ .

وهو ربهم المتولِّي تربيتهم؛ بدفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم ، وبِنَهْيِهم وتحذيرهم مما يضرهم في أبدانهم ، وفي دينهم ودنياهم ، فحق عليهم أن يستعيذوا بهذا الربِّ العظيم؛ من شر الوسواس الخناس ، الذي يفسد عليهم أمرهم في الدنيا والآخرة ، وحق عليهم أنْ يلجأوا إليه في جميع مهامِّهم سبحانه وتعالى .

ولذلك قال سبحانه : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فالله تعالى ربُّهم الذي لا غنى لهم عنه ، يجب أن يعوذوا به .

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾

فالله تعالى هو ملك الناس على الحقيقة ، المتصرف فيهم ، وكلُّهم عبيده ومماليكه ، وهو المدبِّر أمورهم كما يشاء ، النافذ القدرة فيهم ، الذي له السلطان الأعظم عليهم ، فهو سبحانه ملكهم الحق الذي يجب عليهم أن يفزعوا إليه عند الشدائد والنوائب ، فهو مَعَاذُهم ومَلْجَؤُهم ، فليس لهم ملك غيره يهربون إليه ، ويفزعون إليه ، ويعوذون به مِنْ عَدُوِّهم المبين وهو الشيطان إبليس وجنوده .

قوله تعالى :

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾

والله تعالى هو إلَٰهُهُم الحق ، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ، ولا معبود لهم حقاً غيره .

فإذا كان الأمر الثابت لديهم بالأدلة القاطعة : العقلية والكونية

والنفسية؛ أنَّ الله تعالى هو ربُّ الناس ، وملكهم ، وإلَهُهُم الحق ، فالواجب عليهم أن يستعيذوا به ، وأن يلجأوا إليه ، فهو سبحانه كافيهم ، وهو حسبهم وناصرهم ، ووليهم ، ومتولي أمورهم ، ومدبرها ، فكيف لا يلجأ العبد إليه سبحانه ، ليعيذه من شر الوسواس الخناس ، الذي يريد أن يفسد عليه أمره ، ويكيده ، ويمكر به ، ويوقعه في المهالك والمتالف.

فإنّ المستعيذ بالله تعالى ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هو جدير بأن يُعاذ ويُحفظ ويُمنع من شر الوسواس الخناس ، ويأمن من شر إبليس الشيطان ، وشر جنوده الشياطين.

يا مَنْ ألوذ به فيما أؤمله ... ومَنْ أعوذ به مِمَّا أحاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ... ولا يُهيضون[1] عظماً أنتَ جابره

روى الإمام مسلم في (صحيحه) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم تر آيات أنزلتْ هذه الليلة ، لم يُر مثلهنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد بإسناده ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما»[2].

وتقدّم في فضائل سورة الإخلاص أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ سورة الإخلاص ، ثم المعوذتين ، وكان يأمر بذلك.

---

(١) أي: لا يكسرون.

(٢) انظر ذلك كله في (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

قوله تعالى:

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾

أي: من شر الشيطان الموسوس، فالوسواس هو على وزن فعلال، وهو بفتح الواو بمعنى اسم الفاعل، أي: الموسوس، وبكسر الواو هو مصدر يعني: الوسوسة، ومثله الزَلزَال والزِلزال[1].

وسمي الوسواس بذلك لأنه إلقاء شيطاني خفي.

وأما ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ فهو فعَّال، مِنْ خنس يخنس إذا توارى، واختفى بعد ظهوره، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فوَصَف به الكواكب كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: هي الكواكب تخنس بالنهار فلا تُرى.

وقال قتادة في معنى الخنس: هي النجوم تبدو بالليل، وتخنس بالنهار، فتختفي ولا ترى.

ووُصف الشيطان بالخناس لظهور وسوسته تارة، ورجوعه واختفائه تارة أخرى، فإذا تعوذ الإنسان وذكر الله تعالى خنس وانقبض ورجع.

كما روى ابن أبي شيبة وابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: (الشيطان

---

(١) والوسوسة والوسواس يطلق في اللغة على الصوت الخفي، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الوسواس في هذه الآية المراد به المصدر، وقد وصف به مبالغة، أو على تقدير ذي الوسواس، والصواب أنّه اسم فاعل وصف به بمعنى الموسوس، انظر (تفسير) القرطبي وغيره.

جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا سها وغفل وسوس).

فالشيطان يرتقب غفلة الإنسان عن ذكر الله تعالى ، فإذا غفل وسوس ، وإذا ذكر الله تعالى بأنواع من ذكر الله تعالى يتباعد عنه الشيطان ويخنس ، وسيأتي في الحديث: «وكذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى» الحديث.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾

هذه صفة ثالثة للشيطان ، فالصفة الأولى هي: الوسواس ، أي: الشيطان الموسوس ، والثانية: الخناس ، وهذه الثالثة.

فيلقي الشيطان وسوسته في الصدر الذي هو ساحة القلب ، فإذا استحكمت الوسوسة وتمكنت دخلت بيت القلب ، فالصدر كساحة الدار ، والبيت في الدار هو القلب.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

فإذا غفل الإنسان عن التعوذ بالله ، وعن ذكره سبحانه ، تمكنت الوساوس في القلب ، وأفسدتْ ، وحركت صاحب القلب للعمل بمقتضى تلك الوسوسة ، ووقع في الشر وكان ما كان.

والشرور التي يحاول الشيطان أن يُوقع الإنسان فيها هي كثيرة ، وبعضها أشد من بعض ، فالشيطان يحاول أن يوقع الإنسان في أخطرها وأفسدها ، وأشدها ضرراً عليه.

فهو يحاول أن يوقع الإنسان في نوع من أنواع الكفر ، ويسعى جاهداً في ذلك هو وجنوده ، كما أخبر الله تعالى عن إبليس في

عداوته لابن آدم: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

وقال تعالى مخبراً عنه أيضاً: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾.

وحيث كان موقف الشيطان مع الإنسان هكذا، كما تقدم، فيجب على الإنسان أن يتعوَّذ ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ وعلى الإنسان أن يعتصم بالله تعالى، ويلجأ إليه تحفظاً من عدوه المبين عداوته.

فإذا لم يستطع الشيطان تكفير الإنسان، سعى جاهداً في إيقاعه في الكبائر والفواحش على اختلاف أنواعها ما استطاع، وزيَّن له الإصرار على فعلها، وحينذاك يقع في خطر الكفر، لأن الإصرار على المعاصي قد يُؤدِّي بصاحبها إلى استحلال فعلها أواستباحتها، وبذلك يقع في الكفر، لأن من استحلَّ حراماً قطعياً معلوماً من الدين بالضرورة وقع في الكفر.

ولذلك حَذَّر الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الإصرار على المعاصي والفواحش، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

أي: وهم يعلمون أن من تاب تاب الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الآية، أي: فلا ينبغي للمصرين أن يبقوا على إصرارهم، فليسارعوا إلى التوبة، ثم أخبر

الله تعالى عن جزاء الذين تابوا واستغفروا لذنوبهم فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

روى الإمام أحمد في (مسنده)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمُصِرِّين، الذين يصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون».

فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطر الإصرار على الذنوب، وحذَّر الإنسان أن يكون من أقماع القول، أي: الذين يسمعون القول الذي فيه التذكير والوعظ ثم لا يعملون بموجبه، فلا يتَّعظون ولا يتذكرون.

والأقماع جمع قِمَع، كأضلاع جمع ضِلَع، والقِمَع يمر عليه الزيت والسمن ونحوهما فيملأ الأواني، ولكنه لم ينتفع منها ولا بقطرة، وهكذا حال مَنْ يسمع مواعظ الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولم يتعظ بها.

فلا تكن أيها المسلم قِمَعاً، بل افتح قلبك لمواعظ الله تعالى، ومواعظ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، واجعل قلبك آنيةً، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني، عن أبي عنبة الخولاني، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ لله تعالى آنيةً من أهل الأرض، وآنية ربِّكم قلوب عباده الصالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقها» قال الحافظ الهيثمي: إسناده حسن.

فليكن قلبك آنية لربك سبحانه، يملؤها الله تعالى من الأسرار والأنوار، والفيوضات والمعارف الإلٓهية، والتفهمات الربانية.

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أثر الذنوب على القلوب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة[1] نكتت في قلبه نكتة[2] فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبه، وإن عاد زيد فيها[3] حتى تعلوَ قلبه، وهوالران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» رواه الترمذي وصححه كما في (التيسير)[4].

أي: غطَّى على قلوبهم، وغشَّاها ظلمات ما كانوا يكسبون من الذنوب.

والنكت هو الأثر في الشيء.

فالذنب يُنكِت في القلب نكتة سوداء، فإذا تاب العبد واستغفر صقل القلب، وذهبت النكتة السوداء، وإن عاد ولم يتب، وأصرّ على الذنوب، كثرت النكت السوداء، وعَلَتْ فوق القلب، وغطَّتْه بسوادها وظلماتها، فإنَّ مرآة القلب تتأثر بظلمات الذنوب، فيجب صقله وجلاؤه بالتوبة والاستغفار، وبكثرة ذكر الله تعالى كما في الحديث، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «إنّ لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله» الحديث[5].

---

(١) وفي رواية الحاكم: «إذا أذنب ذنباً».
(٢) وفي رواية الحاكم: «نكتة سوداء».
(٣) أي: زيد فيها نكتة سوداء فوق نكتة سوداء، وهكذا.
(٤) ورواه النسائي والحاكم كما في (ترغيب) المنذري.
(٥) سيأتي تمام الحديث وتخريجه إن شاء الله تعالى في أواخر الكتاب.

ألا ترى مرآة الزجاج، كيف يختم عليها الغبار والدخان إذا عرّضتها لذلك، ولم تتعهدها بالمسح والصقل، فإذا مسحتها وصقلتها زال عنها الغبار ونحوه، وظهر فيها ما أمامها جليّاً.

فاعتبر أيها العاقل، وحافظ على مرآة قلبك من ظلمات الذنوب، وغبار الغفلات، ووجِّه مرآة قلبك لِرَبِّك لتتنزل عليه أسراره، وتتجلّى فيها أنواره، وتذكَّر قول بعض العارفين نفعنا الله تعالى بهم:

إذا سكن الغدير على صفاءٍ وجَنَّب أن يحركه النسيم
بَدتْ فيه السماء بلا امتراءٍ كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يُرَىٰ في صفوها الله العظيم

ونعُود الآن إلى بيان أنواع مكايد الشيطان للإنسان، فمن جملتها: وسوسة الشيطان للإنسان حتى يوقعه في صغائر الذنوب:

إذا عجز الشيطان عن إيقاع الإنسان في كبائر الذنوب سعى بوسوسته حتى يوقعه في صغائر الذنوب، وسَهَّل أمرها عليه، حتّى يُصِرَّ الإنسان عليها. ومن المعلوم أنّ الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، وإذا اجتمعت الصغائر وكثرت، ولم يتب منها فإنها تهلكه.

جاء في الحديث، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إياكم ومحقَّرات[1] الذنوب، فإنما مَثَل محقَّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود،

---

(١) أي: صغائر الذنوب كما قال شراح الحديث.

وجاء ذا بعود ، حتىٰ حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقَّرات الذنوب متىٰ يؤخذ بها صاحبها تُهلكه»[1].

فالعُوْد الواحد من الحطب لا ينضج خبزاً لصغره ، ولكن إذا جُمعت عُوَد كثيرة إلى بعضها ، وأوقدت ناراً فإنها تنضج خبزاً ، ولحماً ، وغير ذلك.

فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المثل لتأثير الصغائر من الذنوب ، التي لم يتب منها ، فإنها متى يُؤخذ بها صاحبها تهلكه بكثرتها.

فعلى المسلم أن يبادر إلى التوبة من كبائر الذنوب وصغارها لخطرها.

وهكذا الشيطان يسعى في إيقاع الإنسان في صغائر الذنوب ، والإصرار عليها ليلقيه في المهلكة.

فإذا عجز الشيطان عن إيقاع الإنسان في الصغائر ، فإنه يسعى في إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب؛ ليصرفه عن فعل الطاعات والخيرات والقربات ، فيضيِّع عليه الوقت ، ويحرمه من أجر الطاعات والنوافل.

فإذا لم يستطع الشيطان ذلك ، راح يسعى في إشغال الإنسان بالعمل المفضول ليصرفه عن العمل الأفضل ، والأكثرِ ثواباً ، والأرفع درجة.

---

(١) وقد رمز في (الجامع الصغير) إلى رواة هذا الحديث: الإمام أحمد ، والبيهقي ، والطبراني ، والضياء.

فعلى الإنسان أن يستعيذ بالله ، ويلجأ إلى الله تعالى .

فمن استعاذ بالله تعالى أعاذه الله تعالى ، ومن التجأ إلى الله تعالى حفظه الله تعالى .

روى الترمذي وغيره ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للشيطان لمَّة بابن آدم ، وللمَلَك لَمَّة[1] ، فأمّا لَمَّة الشيطان فإيعاد بالشَّرِّ وتكذيب بالحق ، وأما لَمَّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئاً ـ أي: من إيعاد الخير وتصديق الحق ـ فليعلم أنّه من الله تعالىٰ ، فليحمد الله تعالى».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ومَنْ يجد الأخرى فليتعوَّذ بالله من الشيطان».

ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ الآية .

ويرحم الله تعالى القائل:

إنـي ابْتُليـت بـأربـع يـرمينني ... بالسهم عن قوسٍ لها توتير

إبليس والدنيا ونفسِيَ والهوى ... يا ربِّ أنتَ على الخلاص قدير

---

(١) بفتح اللام ، قال في (النهاية): اللمة هي: الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام المَلَك أو الشيطان بابن آدم ، والقرب منه ، فما كان من خطرات الخير فهو من المَلَك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. ا هـ.

قوله تعالى:

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

هذا بيان للذي يوسوس ، وذلك أنّهم نوعان: جنٌّ وإنس.

فالشيطان الجن يوسوس في صدور الناس ، والشيطان الإنس أيضاً يوسوس إلى الإنس ، فهناك شياطين الإنس ، وشياطين الجن ، ويستعاذ منهما.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ الآية.

وروى الإمام أحمد ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلست ، فقال يا أبا ذر: «هل صلَّيت» ـ أي: تحية المسجد ـ.

فقلت: لا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قم فصلِّ».

قال: فقمتُ فصليت ثم جلستُ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر تعوَّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن».

قال أبو ذر: فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم» الحديث.

فالشيطان الموسوس نوعان: إنسي وجني ، فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في الصدر ، ثم تقع في القلب ، وهذا اشترك بين الجن والإنس.

فوسوسة الشيطان الإنسي إنما هي بواسطة الأُذن ، فهو يلقي عليه ويوسوس إليه بواسطة الأُذن ، فتصل تلك الوسوسة إلى ساحة الصدر ، ثم تدخل بيت القلب.

وأما الشيطان الجني فوسوسته للإنسان لا تحتاج إلى واسطة الأُذن ، لأن وسوسته لها مداخل على الإنسان خَفية ، وهي كثيرة ، فإنَّ الشيطان الجني يجري من ابن آدم مجرى الدم ، كما جاء في الحديث الصحيح الآتي ، فإذا استعاذ الإنسان بالله تعالى ، انسدَّت على الشيطان جميع المداخل ، وأمِنَ الإنسان من وسوسته.

فمداخل الشيطان الجني على الإنسان كثيرة ، ومن تلك المداخل يُلقي وسوسته إلى الصدر ، ومن الصدر تصل الوسوسة إلى القلب ، فإذا استعاذ الإنسان بالله تعالى حفظه من تلك الوساوس فلا تصل إليه ، وسدَّ الله تعالى جميع مداخل الشيطان عليه ، ولذلك يجب على الإنسان أن يلجأ إلى الله تعالى ، ويعوذ به سبحانه فإنه يعيذه؛ لأنه سبحانه هو أمر بالتعوذ به.

جاء في الحديث ، عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: قالت صفية أم المؤمنين رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتكفاً ، فأتيته أَزُوره ليلاً ، فحدَّثته ثم قمتُ لأنقلب ـ أي: لأرجع ـ فقام صلى الله عليه وآله وسلم معي ، حتى إذا بلغ باب المسجد ، مرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرعا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «على رِسْلكما ـ أي: لا تسرعا ـ إنَّها صفية بنت حُيي» يعني: أنها زوجته رضي الله عنها.

فقالا: سبحان الله يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنّي خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شَرّاً» أو قال: «شيئاً» قال في (تيسير الوصول): أخرجه البخاري وأبو داود.

قلت: ورواية البخاري في باب الاعتكاف: «إنّ الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم».

وقد يوسوس الشيطان الجني للإنسان عن طريق الأذن، كما يوسوس إليه الشيطان الإنسي.

وقوله تعالى: ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ يدخل فيه الجن تبعاً، أو من باب التغليب، كما في كثير من الآيات الكريمة يذكر الله تعالى فيها الناس وتشمل أحكامها الجن أيضاً.

قال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾. ونحو ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة.

فالجن يُوَسوس إليهم أيضاً.

قوله تعالى:

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

فيه دليل على أن الإنسان يجب عليه أن يستعيذ بالله تعالى من شر نوعي الشياطين: شياطين الإنس، وشياطين الجن؛ كما تقدم في الحديث.

فالجِنَّة هم الجنُّ، وإنما سمُّوا بذلك ـ أي: جناً وجنة ـ من

الاجتنانِ وهو الاستتار ، فإن الجن مستترون عن أعين البشر ، فسمُّوا جناً.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الآية ـ أي: لما ستره الليل وخيَّم عليه ـ.

ويقال للجنين في بطن أمه يقال له: الجنين ، لاستتاره في بطن أمه ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

والأجنة جمع جنين ، ويقال للجَنَّة: جَنَّة لاستتار داخلها بأشجارها الكثيرة.

وأما الناس والإنس والإنسان فإن ذلك يدل على الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس ، فالمادة الاشتقاقية تدل على ذلك ، قال الله تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ الآية ـ أي: رأى ناراً ـ.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ والمعنى: فإنْ أحسستم ورأيتم من تصرُّفاتهم ومعاملاتهم رُشداً ، فادفعوا إليهم أموالهم.

فالجن أخفياء عن أعين البشر ، وأما الناس فإنهم مرئيون.



ذكــرى

إذا علمت أيها المسلم أنواع تلك الشرور التي أمر الله تعالى أن نعوذ به منها ، ومن أضرارها وأخطارها ، إذا علمت ذلك ، فيجب عليك أن تلجأ إلى الله تعالى دائماً وتستعيذ به منها ، فإذا استعذتَ به أعاذك ، وإذا لجأت إليه أمَّنك ، وإذا سألته الحفظ حفظك ووقاك.

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً مِنَ الأسباب التي يُعيذ الله تعالى بها عبده ، وبها يحفظه ويقيه؛ من الشرور والمضارِّ ، وبها يجعله الله تعالى في حِرزه وحِصنه ، وأنا أذكر لك بعضاً منها:

١ ـ الإكثار من قراءة المعوِّذات:

روى النسائي والبزار بسند صحيح ، عن عبد الله بن أُنَيْس رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع يده على صدره ثم قال له: «قل» فلم أدر ما أقول ، ثم قال له: «قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾» ثم قال لي: «قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾» حتى فرغت منها ، ثم قال لي: «قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» حتى فرغت منها ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هكذا فتعوّذ ، فما تعوذ المتعوِّذون بمثلهنَّ».

وروى مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوِّذات) الحديث.

وروى أصحاب (السنن) والطبراني، عن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلاثاً. تكفيك من كل شيء».

وهذا كما تقدم قراءتها وراء الصلوات، وقراءتها للمريض ومسح ما أقبل من جسده، ووراء صلاة الجمعة سبعاً سبعاً، كما ذكرتُ ذلك في فضائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فارجع إليها تجد التفصيل.

٢ ـ قراءة آية الكرسي يحفظ الله تعالى بها الإنسان:

روى الإمام البخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذتُه فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: إني مُحتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة.

قال: فخلَّيتُ عنه، فأصبحتُ فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيركَ البارحة»؟.

فقلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدة، وعيالاً، فرحمته فخلَّيْت سبيله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنّه قد كذبك وسيعود».

---

(١) كما في (تيسير الوصول).

فعرفت أنَّه سيعود لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: دعْني فإنِّي محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود.

فرحمته فخلَّيْت سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»؟.

فقلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنّه قد كذبك وسيعود».

فرصدتُه الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا آخر ثلاث مرات؛ إنَّك تزعم أنَّك لا تعود.

فقال: دعني فإني أعلِّمك كلماتٍ ينفعك الله تعالى بها.

قلت: ما هي؟.

قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية، فإنَّه لن يزال عليك من الله تعالى حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

فخلَّيتُ سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعل أسيرك البارحة»؟.

فقلت: يا رسول الله زعم أنّه يعلِّمني كلماتٍ ينفعني الله تعالى بها ـ فخلَّيت سبيله؟..

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما هي»؟.

قلت: قال لي: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، من

أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ ﴾ ، وقال لي: لن يزال عليك حافظ من الله تعالى حتى تصبح ، ولن يقربك شيطان.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنّه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم مَنْ تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة»؟.

قلت: لا. قال: «ذاك شيطان»[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي؛ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٢].

٣ ـ قراءة سورة البقرة في البيت تحفظ من الشياطين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إنّ الشيطان يفرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم والترمذي.

٤ ـ قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة تحفظ من الشياطين:

روى الترمذي ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، لا تُقرآن في دارٍ ثلاث مرات فيقربها شيطان»[٣].

---

(١) أي: ذاك شيطان تمثل بصورة رجل ، وزعم أنّه محتاج... إلخ.
(٢) قال ابن كثير: رواه النسائي وابن حبان في (صحيحه) ، وفي رواية: «إلا الموت».
(٣) كذا في (التيسير).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ بالآيتين اللتين من آخر سورة البقرة في ليلته كفتاه».

قال في (تيسير الوصول): أخرجه الخمسة إلا النسائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل عليه السلام قاعداً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ سمع نقيضاً[1] من فوقه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا مَلَكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلاّ اليوم، فسلَّم وقال ـ أي: للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ: أبشر بنورين أُوتيتَهما، لم يُؤتَهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيتَه).

أخرجه مسلم والنسائي كما في (التيسير).

٥ ـ قراءة أول ﴿حمٓ﴾ المؤمن وآية الكرسي فيها الحفظ والوقاية:

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ المؤمن إلى ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وآية الكرسي حين يصبح؛ حُفِظَ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح»[2].

---

(١) النقيض هو الصوت.

(٢) انظر (تفسير) ابن كثير و(تيسير الوصول).

٦ ـ قول: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له . . . إلخ ـ عقب صلاة الصبح والمغرب عشر مرات ـ حرز من الشيطان:

عن عبد الرحمن بن غُنم رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح: لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يُحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ـ عشر مرات: كتب الله له بكل واحدةٍ عشر حسناتٍ ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكانت له حرزاً من كل مكروه ، وحرزاً من الشيطان الرجيم ، ولم يحلّ[1] للذنب أن يدركه إلا الشرك ، وكان من أفضل الناس عملاً ؛ إلاّ رجلاً يفضله بقول أفضل مما قال».

قال الحافظ المنذري: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح عن شهر بن حوشب ، وعبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته ، وقد رُوِيَ هذا الحديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. ا هـ.

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال في دُبُر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ـ عشر مرات: كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك كله قد حُرِزَ من كل مكروه ، وحُرِسَ من الشيطان ، ولم ينبغ للذنب أن يدركه في ذلك اليوم؛ إلا الشرك بالله تعالى».

---

(١) أي: لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب كما في رواية للطبراني.

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن غريب صحيح، والنسائي وزاد فيه: «بيده الخير» وزاد فيه أيضاً: «وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة».

قال: ورواه النسائي وزاد فيه: «ومن قالهنَّ حين ينصرف من صلاة العصر أُعطي مثل ذلك في ليلته». ا هـ.

وعن عُمارة بن شَبيب السَّبائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير - عشر مرات على إثر المغرب: بعث الله له مَسْلَحة - أي: ملائكة مسلَّحين - يحفظونه من الشيطان حتى يصبح، وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقبات مؤمنات»[١].

وروى الطبراني في (الأوسط) بإسناد جيد، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال دبر صلاة الغداة: - أي: الصبح -: لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير - مائة مرة قبل أن يثني رجليه: كان يومئذ من أفضل أهل الأرض عملاً، إلا من قال مثل ما قال، أو زاد على ما قال»[٢].

٧ - قال الإمام البخاري في صحيحه: باب فضل التهليل، ثم

---

(١) قال المنذري: رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة سماعاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ا هـ.

(٢) كما في (ترغيب) المنذري.

أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ قال: لا إلّه إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ـ في يوم مائة مرة: كانت له عَدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومُحيتْ عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومَه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثرَ منه».

٨ ـ روى **أبو داود** عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفاً ، وابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال حين يصبح وحين يمسي: حسبي الله ، لا إلّه إلاّ هو عليك توكّلتُ وهو ربُّ العشر العظيم ـ سبع مرات: كفاه الله ما أهَمَّه من أمر الدنيا والآخرة»[١].

٩ ـ روى **الإمام أحمد بإسناده** ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ قال حين يصبح ـ ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آياتٍ من آخر سورة الحشر: وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»[٢].

وروى ابن مَرْدُوْيَهْ ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعوّذ بالله من الشيطان ـ ثلاث مرات ، ثم قرأ آخر سورة الحشر: بعث الله إليه سبعين ألف

---

(١) كذا في (الدر المنثور) وغيره ، ورواية الوقف لها حكم الرفع ، لأن ذلك مما لا مجال للرأي فيه ، كما هو مقرر في علم الحديث.

(٢) قال ابن كثير: ورواه الترمذي.

ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجنِّ ، إن كان ليلاً حتى يصبح ، وإن كان نهاراً حتى يمسي»[١] .

١٠ ـ روى الدارمي في (سننه) بإسناده ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (مَنْ قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يَدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح ، وهنَّ: أربع من أولها ، وآية الكرسي وآيتان بعدها ، وثلاث خواتيمها أولها: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾)[٢] .

وروى الدارمي أيضاً في (سننه) بإسناد آخر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة: لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه[٣] ، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق).

وروى البيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: (من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أولَ النهار: لا يقربه شيطان حتى يمسي ، وإن قرأها حين يمسي: لم يقربه حتى يصبح ، ولا يرى شيئاً يكرهه في أهله وماله ، وإن قرأها على مجنون أفاق: أربع آيات من أولها ، وآية الكرسي وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها)[٤] .

---

(١) كذا في (الدر المنثور).

(٢) ورواه ابن المنذر والطبراني أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه ، كما في (الدر المنثور).

(٣) زاد ابن الضريس في روايته: (ولا شيء يكرهه في أهله ولا ماله).

(٤) كذا في (الدر المنثور) وغيره.

وروى الدارمي في (سننه) عن المغيرة بن سبيع ـ وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ قال: (مَنْ قرأ عشر آيات من سورة البقرة عند منامه لم ينس القرآن: أربع آيات أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث من آخرها).

ثم قال الدارمي: قال إسحاق ـ يعني: شيخه ـ: لم ينس ما قد حفظه.

ورواه سعيد بن منصور، والبيهقي في (شعب الإيمان) بلفظ: (لم ينس القرآن)[1].

فائدة: أخرج الديلمي، عن سيدنا علي وابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعاً: في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخر السورة قال: «هي رقية الصُّداع» أي: آلام الرأس.

وأخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخه) قال: أنبأنا أبو نعيم الحافظ، أنبأنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن يوسف بن جعفر المقرىء البغدادي، قال: أنبأنا إدريس بن عبد الكريم الحداد، قال: قرأت على خلف، فلما بلغتُ هذه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ قال: ضعْ يدك على رأسك، فإني قرأت على سليم، فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك، فإني قرأت على الأعمش فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك، فإني قرأتُ على يحيى بن وثاب، فلما بلغت هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك، فإني قرأت على علقمة والأسود فلما بلغت هذه الآية قالا: ضع يدك على رأسك، فإنا قرأنا على عبد الله ـ يعني:

---

(١) كما في (الدر المنثور).

ابن مسعود رضي الله عنه ـ فلما بلغنا هذه الآية قال: ضعا أيديكما على رؤوسكما ، فإني قرأتُ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بلغت هذه الآية قال لي: «ضع يدك على رأسك ، فإنَّ جبريل لما نزل بها إليَّ قال لي: ضع يدك على رأسك: فإنَّها شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت»[1].

١١ ـ الإكثار من ذكر الله تعالى حرز من الشيطان:

جاء في الحديث ، عن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلماتٍ ، أن يعمل بها ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها.

وإنّه ـ أي: يحيى عليه السلام ـ كأنَّه كاد أنْ يبطىء بها ـ أي: بأمر بني إسرائيل بها ـ.

فقال له عيسى عليه السلام: إنّ الله أمرك بخمس كلمات ، أن تعمل بها ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإمَّا أن تأمرهم بها ، وإمَّا أن آمرهم أنا بها؟.

فقال يحيى عليه السلام: أخشى إنْ سبقتني بها أن يُخسف بي أو أُعذَّب.

فجمع ـ أي: يحيى عليه السلام ـ الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشُّرف.

فقال: إنّ الله أمرني بخمس كلماتٍ ، أن أعمل بهنَّ ، وأن آمركم أن تعملوا بهنَّ:

---

(١) كما في (الدر المنثور).

أولهنَّ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، فإنَّ مثل مَنْ أشرك بالله: كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِق ، وقال: هذه داري ، وهذا عملي ، فاعمل وأدِّ إليَّ ، فكان ـ العبد ـ يعمل ويؤدِّي إلى غير سيده ، فأيُّكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ .

وإن الله تعالىأمركم بالصلاة ، فإذا صلَّيتم فلا تلتفتوا ، فإنَّ الله تعالى ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وأمركم بالصيام فإنَّ مثل ذلك: كمثل رجل في عصابة ـ أي: جماعة ـ معه صُرَّة فيها مسك ، وكلُّهم يعجبهم ريحها ، وإنَّ ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

وأمركم بالصدقة فإنَّ مثل ذلك: كمثل رجل أسره العدوُّ فأوثقوا يديه إلى عنقه ، وقدَّموه ليضربوا عنقه ، فقال: أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير؛ ففدى نفسه منهم .

وأمركم: أن تذكروا الله تعالى ، فإنّ مَثَل ذلك: كمثل رجل خرج العدوُّ في أثره ـ أي: لحقه ـ سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، وكذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلاَّ بذكر الله تعالى» الحديث أخرجه الترمذي وصححه[1] .

فذكر الله تعالى حصن حصين ، يحفظ العبد من الشيطان ، لأنَّ

---

(١) كما في (التيسير) وغيره ، وقال الحافظ المنذري بعدما أورد هذا الحديث برواية ابن خزيمة في (صحيحه) قال: رواه الترمذي والنسائي بعضه ، وابن خزيمة في (صحيحه) واللفظ له ، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم ، وقال الترمذي: حسن صحيح . اهـ.

الله تعالى له مع من يذكره معيَّة خاصة ، ومن كان الله تعالى معه لا يضره شيطان ولا غيره.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحرَّكتْ بي شفتاه».

قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في (صحيحه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ـ أي: جمع ـ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإنْ تقرَّب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

قال الحافظ المنذري: رواه البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي وابن ماجه ، قال: ورواه أحمد بنحوه بإسنادٍ صحيح ، وزاد في آخره قال قتادة: (والله أسرع بالمغفرة) ا هـ.

فأكْثر ذكر الله تعالى ، فإنَّه الحصن الحصين ، وبه تُصقل مرآة القلب من غبار الغفلات ، فتشرق فيه أنوار الله تعالى.

جاء في الحديث ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول: «إنّ لكل شيء صقالة ، وإنَّ صقالة القلوب ذكر الله تعالى ، وما من شيء أنجى من عذاب الله: من ذكر الله تعالى» الحديث ، رواه ابن أبي الدنيا ، والبيهقي كما في (ترغيب) المنذري.

ذكر الله تعالى يُحيي القلوب:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله: مَثَلُ الحيِّ والميت».

قال الحافظ المنذري: رواه البخاري ومسلم إلاّ أنه قال: «مَثَل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه: مَثَلُ الحيِّ والميت».

بذكر الله تعالى تطمئنُّ القلوب:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

أي: هي تطيب وتُسَرُّ وتسكن، وهي راضية مستبشرة، فينبغي للمسلم أن يكثر من ذكر الله تعالى ـ ويسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك ـ في كل الأوقات، وخاصة وراء الصلوات، فإنّ الدعاء عقب الصلوات مجاب، كما جاء في الحديث، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معاذ، والله إني لأحبُّك، أوصيكَ يا معاذ: لا تدعنَّ في دُبر كل صلاة أن تقول ـ أي: وراء كل صلاة ـ: اللهمَّ أعنِّي على ذكركَ، وشكرك وحسن عبادتك».

عزاه في (الفتح الكبير) إلى الإمام أحمد، وأبي داود والنسائي وغيرهم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: إنّ آخر كلام فارقتُ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قلتُ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أن تموتَ ولسانك رطب من ذكر الله تعالى».

قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني واللفظ له، والبزار إلا أنه قال: - أي: قال معاذ - يا رسول الله أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله تعالى. الحديث.

قال: ورواه ابن حبان في (صحيحه). اهـ.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله أوصني.

قال: «عليك بتقوى الله تعالى ما استطعتَ، واذكر الله تعالى عند كل حجر وشجر، وما عَمِلْتَ من سوء فأَحْدِثْ له توبة؛ السرُّ بالسرِّ والعلانية بالعلانية».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن.

وبإسناد آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اعبد الله كأنَّك تراه، واعددْ نفسك في الموتَى، واذكر الله عند كل حجرٍ، وعند كل شجر، وإذا عملتَ سيئةً فاعمل بجنبها حسنة: السِّر بالسِّر، والعلانية بالعلانية».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناده، ورواته ثقات عن أبي سلمة، عن معاذ رضي الله عنه. اهـ.

وإنما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يَذكر الله تعالى عند كل حجر وشجر؛ ليشهدا له يوم القيامة بذكر الله تعالى.

فأكثر من ذكر الله تعالى ما استطعتَ ، وأكثر من الشهداء على ذلك ، واعلم بأنّ الأرض التي أنت عليها سوف تشهد عليك بما عملتَ على ظهرها؛ مِنْ خير أو شر ، فخذ حِذرك ، واجتنب ما نهاك الله تعالى عنه ، فإنّ الأرض سوف تؤدِّي شهادتها كما شاهدتْ بصدق وأمانة:

جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها»؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإنّ أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمةٍ ـ امرأة ـ بما عمل على ظهرها ، تقول ـ أي: الأرض ـ: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها».

رواه الإمام أحمد ، والترمذي وصححه ، والنسائي وغيرهم كما في (الدر المنثور) وغيره.

وأخرج الطبراني ، عن ربيعة الجُرَشي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تَحَفَّظوا من الأرض ، فإنّها أمُّكم ، وإنه ليس من أحدٍ عامل عليها خيراً أو شراً إلاَّ وهي مخبرة عنه»[1].

* * *

---

(١) انظر (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

وصايا وإرشادات نبوية

الأولى: احفظ الله يحفظك:

عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنتُ خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: «يا غلام: إنِّي أعلمك كلمات:

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله.

واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يَضُرُّوك بشيءٍ لم يَضرُّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رُفعتِ الأقلام وجفَّت الصحف» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة.

واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

واعلم أنَّ النصر مع الصبر ، وأنَّ الفَرَج مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً»[1] .

الثانية : اغتنم خمساً قبل خمس :

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «اغتنمْ خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سَقمك ، وفراغكَ قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك»[2] .

الثالثة : في المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل حدوث الموانع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «بادروا بالأعمال سبعاً : ما ينظرون[3] إلا فقراً مُنسياً ، أو غناً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أوهَرَماً مُفْنداً[4] ، أو موتاً مُجهزاً ـ أي : سريعاً فجأة ـ ، أو الدجَّال فإنه شَرٌّ منتظر ، أوالساعة والساعة أدْهى وأمرُّ» عزاه في (الجامع الصغير) إلى الترمذي والحاكم رامزاً لصحته .

الرابعة : اتق المحارم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) كذا في الأربعين النووية .

(٢) عزاه في (الجامع الصغير) إلى الحاكم والبيهقي ، والإمام أحمد في (الزهد) ، وقال المناوي : قال الزين العراقي : إسناده حسن .

(٣) قال العلامة المناوي : بمثناة تحتية بخط المصنف ، وفي رواية : «هل ينظرون» .

(٤) أفنده الكبر إذا أوقعه في الفند ، وهو : الكلام المنحرف عن الصحة من الخرف .

وآله وسلم: «مَنْ يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهنَّ ، أوْ يُعلم من يعمل بهن».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقلت: أنا.

فأخذ بيدي فعدَّ خمساً:

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسِنْ إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك؛ فإنّ كثرة الضحك تميتُ القلب».

رواه الإمام أحمد والترمذي كما في (الجامع الصغير) وغيره.

اللهم يا ذا الملك والملكوت ، والعزَّة والجبروت ، والعظمة والكبرياء ، والسلطان والقدرة ، أصلح لنا قلوبنا ، وأعمالنا ، وذرياتنا ، ومُنَّ علينا بالعافية من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة.

وصلى الله العظيم ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم ، في كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علم الله العظيم ، وعلينا معهم أجمعين ـ آمين.

الخامسة: وصية جامعة:

عن أبي ذر رضي الله عنه ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمر كله.

وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى: فإنه ذكر لك في السماء ، ونور لك في الأرض.

وعليك بطول الصمت؛ إلا في خير: فإنّه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك.

وإيَّاك وكثرة الضحك: فإنَّه يميت القلب، ويُذهب بنور الوجه.

عليك بالجهاد فإنّه رهبانية أُمتي.

أحبَّ المساكين وجالسهم.

وانظر إلى من تحتك[1]، ولا تنظر إلى من فوقك؛ فإنّه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك.

صِلْ قرابتك وإن قطعوك.

قل الحق وإن كان مرًّا.

لا تخف في الله لومة لائم.

ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك[2]، ولا تجد عليهم فيما يأتون[3].

وكفى بالمرء عيباً أنْ يكون فيه ثلاث خصال: أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحي لهم مما هو فيه[4]، ويؤذي جليسه.

يا أبا ذر: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحسن الخُلُق»؟[5].

---

(١) قال العلامة المناوي: أي: انظر إلى مَنْ دونك في الأمور الدنيوية.

(٢) أي: ليمنعك عن التكلم في الناس ما تعلم في نفسك من العيوب، فقلَّما تخلو أنت من عيب يماثله أو أقبح منه.

(٣) قال العلامة المناوي: أي: ولا تغضب عليهم فيما يفعلونه معك. اهـ. أي: اصبر، وأجرك على الله تعالى.

(٤) أي: يستحي أن يذكروه مما هو فيه من النقائص؛ مع إصراره عليها.

(٥) رواه الطبراني، وعبد بن حميد كما في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه.

السادسة: في حق المسلم على المسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حقُّ المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

قال في (الترغيب): رواه البخاري ومسلم، وأبو داود.

وفي رواية لمسلم: «حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ».

قيل: وما هنَّ يا رسول الله؟.

قال: «إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاكَ فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطَس فحمد الله تعالى فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه»[١].

السابعة: في التفريج عن المكروب، والتيسير على المعْسر، والستر على المسلم، وفضل مَن سلك طريق العلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن نَفَّسَ عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة.

ومن يَسَّرَ على مُعسر يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة.

ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.

والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة.

---

(١) ورواه الترمذي والنسائي بنحو هذا.

وما اجتمع قَوْمٌ في بيت من بيوت الله تعالىٰ ، يَتْلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم : إلاَّ نزلتْ عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم .

الثامنة : في حسن الخُلق :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ألا أخبركم بأحبكم إليَّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة»؟ فأعادها مرتين أو ثلاثاً .

قالوا : نعم يا رسول الله . قال : «أحسنكم خُلقاً» .

رواه الإمام أحمد وابن حبان في (صحيحه) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ أحبكم إليَّ : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً[1] الذين يألفون ويُؤلَفون .

وإن أبغضكم إليَّ : المشَّاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبَّة ، الملتمسون للبُرآء العيب» رواه الطبراني في (الصغير والأوسط) ، ورواه البزار كما في (ترغيب) المنذري .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي وأبو داود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) أي : المتواضعون ، الليِّنون ، وليسوا غلاظاً ولا متكبرين .

عليه وآله وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، وخياركم خياركم لأهله» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود، ورواه البيهقي إلا أنه قال: «وخياركم خياركم لنسائهم».

وجاء في رواية محمد بن نصر المروزي: «وإنَّ المرء ليكون مؤمناً وإنّ في خلقه شيئاً فينقص ذلك من إيمانه» كما في (ترغيب المنذري).

التاسعة: في الحياء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء[١] من الجفاء، والجفاء في النار».

قال الحافظ المنذري: رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح، والترمذي، وابن حبان في (صحيحه)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. اهـ.

وروى مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ لكل دين خُلُقاً، وخُلُق الإسلام الحياء»[٢].

وفي (الصحيحين) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) البذاء: هو الفحش في الكلام.

(٢) فالحياء له اعتبار كبير في دين المسلم وإيمانه.

العاشرة: في بيان الكفَّارات، والدرجات، والمنجيات، والمهلكات:

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ثلاث كفَّارات، وثلاث درجات، وثلاث مُنجيات، وثلاث مهلكات:

فأما الكفارات: ـ أي: مكفرات الذنوب ـ فإسباغ الوضوء في السبرات[1]، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات[2].

وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السِّر والعلانية.

وأما المهلكات: فشُحٌّ مُطاع، وهوىً متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[3].

الحادية عشرة: التوصية بالرفق وترك العُنف:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ أُعطي حظَّه من الرفق أُعطي حظَّه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حُرِم حظه من الخَيْرِ».

---

(١) أي: إسباغ الوضوء عند الكريهات؛ كشدة البرد ونحو ذلك.

(٢) أي: المشي إلى جماعات العبادة: كالصلاة وتلاوة القرآن الكريم، وذكر الله تعالى ونحو ذلك.

(٣) قال الحافظ المنذري: رواه البزار واللفظ له، والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة.. إلخ.

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من كنَّ فيه نشر الله عليه كَنَفه ـ أي: جعله في حفظه ـ وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك» رواه الترمذي[١].

ذكرى نافعة: عليك بمراقبة الله تعالى في جميع أمورك، وصدق المعاملة مع الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قُل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيب

اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك، ولا تشقنا بمعصيتك، بجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ آمين.

الثانية عشرة: في الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ في سائر الأيام عامة، وفي ليلة الجمعة ويوم الجمعة خاصة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة»[٢].

أي: أولاهم بشفاعته ومرافقته صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى البيهقي بإسناد حسن، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

---

(١) كما في (الترغيب) وغيره.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان في (صحيحه) كما في (ترغيب) المنذري و(الدر المنثور).

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أكثروا عليَّ من الصلاة في كل يوم الجمعة، فإنَّ صلاةَ أمتي تُعرض عليَّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم مني منزلة»[١].

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن محمد بن يحيى بن حيَّان، عن أبيه عن جده رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أجعل ثلث صلاتي عليك؟. قال: «نعم إن شئت».

قال: الثلثين؟ قال: «نعم إن شئت».

قال فصلاتي كلها؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذاً يكفيك الله ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك»[٢].

وعن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذهب رُبع[٣] الليل قام فقال: «ياأيها الناس: اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله إنِّي أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟.

قال: «ما شئتَ»؟

---

(١) كذا في (الترغيب) للمنذري، وقد ذكرت أقوال العلماء في حد الإكثار فانظرها في كتاب (الصلاة على النبي ﷺ).

(٢) انظر (ترغيب) المنذري، و(الدر المنثور).

(٣) هذه رواية الحاكم، وأما رواية الترمذي: (كان ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال)، وعليها جرى في (تحفة الأحوذي) وهي أقرب والله تعالى أعلم.

قلت: الربع.

قال: «ما شئتَ، وإن زدتَ فهو خير لك».

قلت: النصف.

قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك».

قال: فقلت: الثلثين؟.

قال: «ما شئتَ، وإن زدت فهو خير لك».

قلتُ: أجعل لك صلاتي كلها؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذاً تُكفى همَّك، ويغفر لك ذنبك».

قال الحافظ المنذري: رواه أحمد والترمذي، والحاكم وصححه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال المنذري: وفي رواية لأحمد عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أرأيتَ إن جعلتُ صلاتي كلها عليك؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمَّك من دنياك وآخرتك» وإسناد هذه جيد.

ثم قال المنذري: قوله أُكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟ معناه: أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك. اهـ.

والمعنى: هل أجعل ربع دعائي صلاة عليك، أم نصفه، أم الثلثين، أم أجعل دعائي كله صلاة عليك صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ومِنْ هذه الأحاديث التي ذكرناها، يتضح لك أنّ هناك عدة من الصحابة رضي الله عنهم، سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن

ذلك ، وما ذاك إلا لاهتمامهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإعظامهم لشأنها.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ صلَّى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة» رواه أبو حفص بن شاهين(١).

وفي هذه الأحاديث المتقدمة وغيرها ، دليل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحثُّ الصحابة ، ويرغِّبهم بالإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم؛ في سائر الأوقات ، والأيام ، لما في ذلك من الخير العظيم ، والأجر الكبير ، في الدنيا والآخرة.

كما أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بالإكثار كلّ الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم خاصةً في ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة.

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أفضل أيامكم ـ وفي رواية ابن حبان: «إنَّ من أفضل أيامكم» ـ يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبضَ ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ».

قالوا: يا رسول الله وكيف تُعْرَضُ صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ؟ ـ أي: بليت بعد الموت ـ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم على

---

(١) كما في (ترغيب) المنذري وغيره.

الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا عليَّ من الصلاة كل يوم جمعة، فإنّه مشهود، تشهده الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلِّي عليَّ إلاَّ عُرضتْ عليَّ صلاته حتى يفرغ منها».

قال أبو الدرداء: قلت: وبعد الموت؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» عليهم الصلاة والسلام[2].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا عليَّ من الصلاة في كل يوم جمعة، فإنَّ صلاة أمتي تُعرض عليَّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة؛ كان أقربهم مني منزلة» رواه البيهقي بإسناد حسن كما في (الدر المنضود) و(القول البديع) وغيرهما.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنَّه أتاني جبريل آنفاً من ربه عز وجل فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرةً واحدةً إلا صلَّيتُ أنا وملائكتي عليه عشراً» رواه الطبراني.

وجاء في رواية أبي الفرج في كتاب (الوفاء) زيادة: «ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش، ولا تمرُّ بملك إلاَّ قال: صلُّوا على

---

(١) قال الحافظ المنذري في موضعين من (الترغيب): رواه أحمد، وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وصححه. اهـ.

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد جيد، كما في (الترغيب) و(الجامع الصغير).

قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

وعند ابن أبي عاصم زيادة: «وعُرضت عليَّ يوم القيامة».

جاء ذلك في (القول البديع)، (والدر المنضود).

وروى الديلمي، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «مَنْ صلى عليَّ يوم الجمعة كانت له شفاعة عندي يوم القيامة».

وأخرج البيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغرَّاء، واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة» كذا في (الفتح الكبير).

وروى البيهقي بإسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغرَّاء، واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تُعْرَضُ عليَّ» كذا في (الفتح الكبير).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء، واليوم الأغرِّ، فإنّ صلاتكم تعرض عليَّ، فأدعو لكم وأستغفر».

رواه ابن بشكوال كما في (القول البديع).

وفي هذه الأحاديث المتقدمة، دليل صريح على أنّه ينبغي الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وليلتها، لما في ذلك من عظيم الأجر والخير والبر، بفضل ذلك اليوم وليلته، ومضاعفات الثواب فيهما.

وحُقَّ لسيد الأنام، وأفضل الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حُقَّ له الإكثار من الصلاة عليه في يوم هو سيد الأيام

وهو يوم الجمعة ، فقد جاء في الحديث:

عن أبي لُبابة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ يوم الجمعة سيد الأيام ، وأعظمها عند الله تعالى ، وهو أعظم من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمس خلال: خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفى الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يَسأل الله فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه إيّاه؛ ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة. ما من ملك مقرَّب ، ولا سماء ولا أرض ، ولا رياح ، ولا جبال ، ولا بحر ، إلاَّ وهنَّ يُشفقن من يوم الجمعة».

قال الحافظ المنذري: رواه أحمد، وابن ماجه بلفظ واحد، وفي إسنادهما عبد الله بن محمد بن عُقيل وهو ممن احتج به أحمد وغيره، قال: ورواه أحمد أيضاً والبزار من طريق عبد الله أيضاً ، من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وبقية رواته ثقات مشهورون. ا هـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِقَ آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها».

رواه مسلم ، وأصحاب السنن كما في (ترغيب) المنذري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة ، وما من دابةٍ إلا وهي تفزع يوم الجمعة؛ إلاّ هذين الثقلين: الجن والإنس».

قال المنذري: رواه ابن خزيمة وابن حبان في (صحيحيهما) ، ورواه أبو داود وغيره أطول من هذا وقال في آخره: «وما من دابة

إلا وهي مصيخة يوم الجمعة ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس ، شفقاً من الساعة؛ إلا الإنس والجن».

ومعنى مصيخة أي: مستمعة مُصْغية.

وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة ، وليلةالجمعة ، فمن فعل ذلك كُنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

جعلنا الله تعالى منهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أبداً أبداً.

قال الحافظ السخاوي في (القول البديع): وقد أنشد الحافظ الرشيد العطار رحمه الله تعالى:

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا ... وتكفير ذنب سالف أنقض الظهرا

عليك بإكثار الصلاة مواظباً ... على أحمد الهادي شفيع الورى طُرًّا

وأفضل خلق الله من نسل آدم ... وأزكاهمُ فرعاً وأشرفهم فخرا

فقد صَحَّ أنَّ الله جلَّ جلاله ... يُصلِّي على مَنْ قالهامرةً عشرا

فصلَّىٰ عليه الله ما جنَّت الدجىٰ ... وأطلعت الأفلاك في أفقها فجرا

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلينا معهم أجمعين ، في كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علم الله العظيم.

اللهم صلاةً ترضيك وترضيه ، وترضى بها عنا يا رب العالمين.

اللهم صلاةً تقرِّبنا بها إليك قرب المقربين ، وترزقنا بهامعرفة العارفين ، وتجعلنا بها من عبادك الصالحين ، الذين قلت فيهم: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

اللهم صلاة تُعطف بها علينا قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم صلاة تجمعنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً ومناماً.

واجعله يا ربنا روحاً لذاتنا من جميع الوجوه؛ في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم.

اللهم صلاة تُفيض بها علينا من أنواره، وأسراره، وبركاته، صلى الله عليه وآله وسلم.

اغفر اللهم لنا، وارحمنا، ولوالدينا، ولمشايخنا، ولإخواننا، ولكل من لَهُ حق علينا، ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، يا مجيب الدعوات.

اللهم يا خير مَنْ مُدَّت إليه الأيادي، سألناك وتوسَّلنا إليك بخير من مدَّ يديه إليك صلى الله عليه وآله وسلم؛ فاستجب دُعانا، وحقِّق لنا رجاءنا، وأعطنا مُنانا وفوق منانا يا مولانا.

وصلِّ اللهم وسلِّم على حبيبك الأكرم، ورسولك المعظم، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلينا معهم أجمعين، في كل وقت وحين، عدد ما وسعه علمك يا رب العالمين ـ آمين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

تم بتوفيق الله تعالى جمع هذا الكتاب
في العاشر من شهر المحرم سنة ١٤١٦هـ

* * *

المحتوى

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون

وغفل عن ذكره الغافلون

والحمد لله رب العالمين

تعريف ببعض كتب المؤلف

١ ـ تلاوة القرآن المجيد: فضائلها ـ آدابها ـ مطالبها ـ خصائصها

فيه بيان أنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى على الحقيقة، مع ذكر الدليل المفصل على ذلك، وفيه الحضُّ على تلاوة القرآن الكريم، في زمن أعرض الناس عنها، كما بيّن الآداب الظاهرة والباطنة عند التلاوة، ونشر صفحة من سيرة السلف الصالح في إكثارهم من تلاوة القرآن الكريم، وأكد التحذير من ترك القرآن الكريم: قراءة له، وتعلماً وتفهماً لآياته، وعملاً به، ثم جمع جملة وافرة من الأحاديث الواردة في فضائل سورٍ وآيات معينة ليكثر المسلم من تلاوتها، وينال الأجر المترتب على قراءتها.

٢ ـ هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان

هذا الكتاب يعتبر من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ويسير في دائرة قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ افتتح الكتاب ببيان أنّ القرآن الكريم كتاب هدي ودعوة إلى منهج الحق في الحجج والبينات، وما ينبغي أن يكون موقف المسلم تجاه القرآن الكريم، ثم فصَّل منهج القرآن الكريم في دعوته وهديه للناس، ثم نشر صفحة عن بعضٍ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ـ هذا بعد إقامة الدليل على وحدانية الله تعالى، وذكر الأدلة القطعية على أن سيدنا محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً.

ثم بيّن: حفظ الله تعالى للقرآن الكريم في تبليغه وتلاوته، وردّ وبشكل لا مزيد عليه ـ بل بشكل مسهب ومفصل ولأول مرة ـ قصة الغرانيق الباطلة الزائفة.

هذا وقد ختم الكتاب بذكر الروح القرآني وأثره في القلوب والنفوس، مع أبحاث أخرى حول القرآن الكريم تجدها منتشرة في هذا الكتاب القيم.

٣ ـ هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان

يعتبر هذا الكتاب أيضاً من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ويبحث حول قول الله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

افتتح الكتاب بذكر العوالم خاصة وعامة، ثم جاء الحديث عن عالم الماء وخصائصه، وعالم العرش وصفته وسعته وعظمته، وعالم القلم ومراتب كتابة القلم مع كلمة موجزة حول الإيمان بالقدر، وبيان أن الإنسان مخير بالأدلة المفصلة.

ثم الحديث عن عالم اللوح، وعالم الجنة، والبيت المعمور، وعالم السماوات والميزان، والكواكب، والأرض، وعالم الملائكة.

ثم تحدث عن مناظرات الرسل لأممهم ـ وبَيَّن أَنَّ المراد بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ أن آزر هو عم لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وليس والداً له ـ لأن الأب يستعمل في: الوالد والعم.

ثم الحديث عن عالم المثال وتنوعه، من تمثل الأعمال والأقوال والأموال وما هنالك، وعند الحديث عن عالم الروح بين شرف الروح الإنساني، والفرق بين الروح والنفس.

وتحدث الكتاب عن عالم الذر وبَيَّن جملة من أحكامه.

ثم ذكر الأدلة المفصلة على عناية الله تعالى برسله منذ صغرهم، وعلى أن أبوي الحبيب المصطفى ﷺ من أهل الجنة.

وفي خاتمة الكتاب جاء البيان الشافي على أن العوالم كلها تعرف خالقها وتسبحه وتحمده، وأنها تعلم العلم اليقين على أنه: لا إلّه إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ مع الأدلة على ذلك، ثم إعلام الإنسان بأن كل ما حوله سيشهد عليه يوم القيامة ليكون على يقظة وحذر في تصرفاته.

٤ ـ حول تفسير سورة الحجرات

هذه السورة تبين الآداب الواجبة مراعاتها مع النبي ﷺ ـ والأجر المرتب على ذلك، وتحذر من التهاون في هذا الأمر، فإن الأدب مع النبي ﷺ من أرفع المقامات.

ثم تحدثت السورة عما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن من اليقظة والحذر ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾.

ثم الإعلان بفضل سيدنا محمد ﷺ وذكر الأدلة على قدرة الله تعالى.

وعند الحديث عن معنى الإيمان وآثاره، بَيَّنَ الكتاب أن الإيمان لا يكون معتبراً إلا إذا كان قائماً على أساس المحبة لله تعالى ولسيدنا محمد رسول الله ﷺ.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ ﴾ بين الكتاب الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن مع أخيه المؤمن مفصلاً.

ثم تحدث الكتاب حول قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ مبيناً معنى: السخرية ـ الكبر ـ اللمز ـ التنابز بالألقاب ـ موضحاً الحال التي كان عليها السلف الصالح لِيُقتدىٰ بهم.

ثم جاء التحذير من التجسس والغيبة وبيان آثارها في الدنيا والآخرة.

وعند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ تحدث عن الحكمة في جعل البشر شُعوباً وقبائل، ثم بَيَّنَ أشرف الأنساب وأطهرها وأقدسها.

ثم الحديث المسهب حول التقوى وفضائلها ونتائجها، فالحديث عن الإسلام والإيمان، والفرق بينهما، ثم التحذير الشديد من الربا والتعامل به.

وفي خاتمة الكتاب كان الحديث حول المغيبات وأنواعها مع ذكر جملة من إخبارات النبي ﷺ عما سيحدث عند قيام الساعة.

مع فوائد كثيرة ـ وتنبيهات هامة ـ ولطائف فريدة ـ تجدها منثورة في الكتاب هنا وهناك.

٥ ـ التقرب إلى الله تعالى : فضله ـ طريقه ـ مراتبه.

وهذا الكتاب أيضاً من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ـ يسير في فلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية، بيّن فيه الأمّة المصطفاة ومراتبها عند الله تعالى، كما فصل أثر العبادات على المرء المسلم، وذكر ما فيها من التخلية من آثار الذنوب، وتحليتها بأنوار الطاعات، هذا مع بيان الطرق المقربة إلى

الله تعالى، وبيان درجات المقربين، وكيفية الوصول إلى تلك المقامات العالية ـ شحذاً للهمم، وتقوية للعزائم ـ مع ذكر حديث الأولياء والشرح الكامل له.

بالإضافة إلى أبحاث قيمة تجدها منتشرة في الكتاب، يحتاج إليها المسلم في يومه وليلته ـ بل ليعتز المسلم بإسلامه، ويفخر بإيمانه، فيحافظ على انتمائه لأمة سيدنا محمد ﷺ.

ـ وقراءة الكتاب أكبر دليل على أن ما فيه أكثر بكثير مما ذكرت فيه.

٦ ـ صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال:

أيضاً هذا الكتاب من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ويدور في فلك قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

افتتح الكتاب ببيان الكلمة الطيبة «لا إلّه إلا الله» وثمراتها، مع ذكر وجوه من الكلام حول الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾ الآية، ثم بيان جملة من العمل الصالح، والأوقات التي تُرفع فيها الأعمال، وبيان واسطة الرفع، وبعض موانع رفع الأعمال الصالحة، وذكر الحكمة من رفع الأعمال، وشرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ثم بيان باقة عطرة مما أكرم الله تعالى به عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

٧ ـ سيدنا محمد رسول الله ﷺ: شمائله الحميدة، خصاله المجيدة.

وهو كتاب نفيس جامع في بيان صفة خَلْق النبي ﷺ، وبيان خصائص تلك الخِلْقة المحمدية العظيمة، على وجه مفصل ومرتب ومنقح.

وفيه تحت بيان فصاحة النبي ﷺ أربعون حديثاً شريفة من جوامع كَلِمِهِ عليه الصلاة والسلام، ويتبعه بيان واسع لأرجحية عقله الشريف على سائر العقول البشرية.

ثم فصل مسهب في سعة علمه وكثرة علومه ﷺ ـ كله من الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

ثم عرض لبيان أخلاقه العظيمة الرفيعة على وجه التفصيل لكل خَصلة خُلُقية، في خاصة نفسه عليه الصلاة والسلام، ومع أهله وذويه، وأصحابه جميعهم على مختلف طبقاتهم، وفيه سرد حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه بطوله، مع ضبط ألفاظه وشرحها.

كتب للمؤلف

- حول تفسير سورة الفاتحة ـ أم القرآن الكريم .
- حول تفسير سورة الحجرات .
- حول تفسير سورة قٓ .
- حول تفسير سورة الملك .
- حول تفسير سورة الإنسان .
- حول تفسير سورة الكوثر .
- حول تفسير سورة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ .
- حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
- هدي القرآن الكريم إلىٰ الحجة والبرهان .
- هدي القرآن الكريم إلىٰ معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
- تلاوة القرآن المجيد ـ فضائلها ـ آدابها ـ خصائصها .
- شهادة لا إلٰه إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ ـ فضلها ـ معانيها ـ مطالبها .
- سيدنا محمد رسول الله ﷺ ـ خصاله الحميدة ـ شمائله المجيدة .
- الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية .
- التقرب إلىٰ الله تعالىٰ : فضله ـ طريقه ـ مراتبه .
- الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدّين ـ فضائلها ـ آثارها ـ آدابها .
- الصلاة علىٰ النّبي ﷺ : أحكامها ـ فضائلها ـ فوائدها .
- صعود الأقوال ورفع الأعمال إلىٰ الكبير المتعال ذي العزة والجلال .
- الدعاء : فضائله ـ آدابه ـ ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .
- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .
- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ومعه بحث حول عالم الجن .
- حول ترجمة الإمام العلامة المرحوم محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالىٰ .
- شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .
- أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .
- مناسك الحج ويليها أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها .